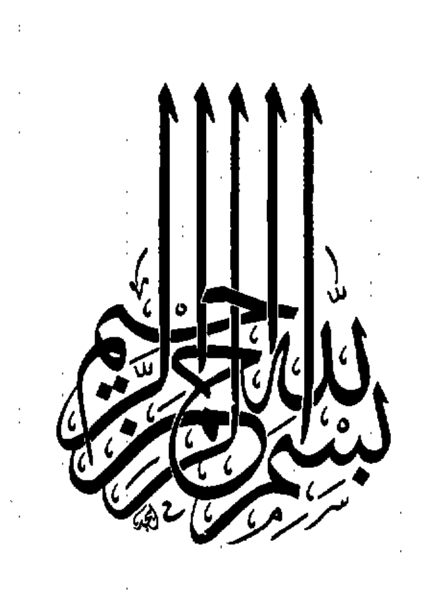
تربيــــة الأبنــــاء

مراحل عمرية وخطوات عملية
ووسائل تربوية

إعداد
عبدالله بن سعد الفالح

دار ابن الأثير


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعـد:

فإنَّ التربية شأنها عظيم، فهي ضرورة مُلِحَّة، وطريق طويل، وميدان واسع، وحلقات متسلسلة متكاملة يأخذ بعضها برقاب بعض ويكمل بعضها بعضاً، وبعض الناس يظن أن التربية مجرَّد أوامر ونواهي؛ ولذا نجد بعض أهل الخير والصلاح لا يملك من التربية إلا أن يأمر وينهى، ويظن أنه بذلك ربَّىٰ أبناءه؛ ولذا يغتمّ ويحزن ويُسقط في يده إن لم تؤتِ هذه التربية (القاصرة) ثمارها، ومِن ثَمَّ يُلقي باللائمة على الابن والمجتمع، وأن التربية لا تجدي شيئاً في هذا العصر الذي كثر فيه الفساد والفتن، وما علم أن السبب هو تربيته القاصرة؛ ولذا نجد العلماء ـ رحمهم الله ـ قديماً وحديثاً،

خاصَّة مَن يهتم منهم بالسلوك والتربية، كتبوا في التربية مطولات ومختصرات، وبيَّنوا أهميتها ووسائلها وأساليبها وصفات المربي وغير ذلك مما يحتاجه المربي أيًّا كان، أباً أو معلماً.

ورأيت أن أُسْهِم في هذا المجال العظيم بجهد المُقِلّ مشاركة لأولئك في الأجر، سائلاً الله الإعانة والإخلاص في القول والعمل، وذلك بكتيب مختصر سهل ميسَّر يفهمه عامة الناس، واهتممت بالجانب العملي أكثر من النظري، فالعامة لا يحتاجون إلى الجانب التنظيري، وإنما حاجتهم إلى الجانب العملي.

وقسَّمته إلى ثلاث مراحل عمرية، ولكل مرحلة خطوات عملية، ثم ذكرت الوسائل والأساليب المعينة بإذن الله على تحقيق التربية السليمة، ثم ختمت ذلك بوصايا للأبوين حتى تكون التربية وحدة متكاملة. فالتربية تبدأ من قبل زواج الأب بالأم، وتستمر إلى زواج الابن، ومن ثَمَّ يبقىٰ التوجيه والنصح.

ومَن فاته مرحلة من هذه المراحل، فليبدأ بالتربية من المرحلة التي تليها، ولعلَّه أن يُوَفَّق فيما فاته من تربية ويعوِّض ما قصَّر فيه. وحسبي أني بذلت جهدي المُقِلّ، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله المغفرة.

ورحم الله مَن أهدىٰ إليَّ عيوبي وأبلغني بما رأىٰ من خطأ وتقصير، والدين النصيحة.

وأسأل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه، ومَن أعان على طبعه ونشره، وأن يجعله مِن العلم الذي يبقىٰ بعد الممات.

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

كتبه

عبدالله بن سعد الفالح

٢١ / ٥ / ١٤٢٣هـ

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

البنون نعمة من الله عز وجل

قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

فهاهم عباد الرحمن يدعون ربَّهم أن يَهَب لهم ذرية صالحة تقر أعينهم بهم، بل لقد دعا الأنبياء قبلهم، فهذا نبي الله زكريا يسأل ربَّه ذريَّة صالحة، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].

ولقد امتنَّ الله على الأنبياء بالأزواج والذريَّة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٣٨].

وامتنَّ على المؤمنين بالأزواج والبنين والحَفَدَة، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

وقال ﷺ: مبيِّناً فائدة الولد الصالح وأنه ذُخر لوالديه في الآخرة بدعائه الصالح: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:

صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم]، ولاحِظ قوله ﷺ: «أو ولد صالح»، فقد قيد بالصالح؛ لأن الفاسد لا يدعو، وآخر علاقته بوالديه عند الدفن، ثم لا يذكرهما بعد ذلك.

ويقول ﷺ: «إن الرجل لتُرْفَع درجته في الجنَّة، فيقول: أنَّىٰ هذا، فيُقال: باستغفار ولدك لك» [رواه أحمد وابن ماجه، «صحيح الجامع» برقم (١٦١٧)].

فالأولاد نعمة عظيمة إذا صلحوا، وإن فسدوا فنقمة، ونسأل الله السلامة.

قال الشاعر:

نِعَم الإله على العباد كثيرة   وأجلُّهن نجابة الأولاد

* * *

وجـوب تربيـة الأبنـاء

إن الأبناء أمانة عظيمة في عنق الوالدين وسيسألون عنها يوم القيامة، وإن للأبناء حقوقاً على والديهم من أعظمها وأهمها تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، وليست التربية قاصرة على توفير السكن والطعام والشراب واللباس والعلاج ونحو ذلك فقط، فهذا يشترك فيه جميع الناس مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم بل حتى الحيوان يشارك الإنسان في ذلك، ألا ترى إلى الطائر كيف يصنع العش لصغاره وكيف يلتقط الحَب ويصعد به إليهم، وكذا بقية الحيوانات، ولكن المسلم يختلف عنهم، فهو يعلم أنه مخلوق لعبادة الله وحده، وأنه مسؤول أمام ربّه جل وعلا، وأن أمامه جنة وناراً.

ولذا فعليه مسؤولية أعظم وأمانة أضخم، ألا وهي رعاية فطرة هذا الطفل وتنشئته النشأة الصالحة؛ ليعبد الله وحده لا شريك له، وينقذ نفسه من نار تلظَّىٰ ويفوز بجنة عرضها السموات والأرض. ويعيش في هذه الحياة مؤمناً بربه متَّبعاً لرسوله ﷺ وسلفه الصالح، نافعاً لأمَّته، قُرَّة عين لوالديه في الدنيا وذُخراً لهما في الآخرة.

فما أعظم هذه الأمانة وأجلّها وأوجبها. فهي واجب محتم

على كل مَن استرعاه الله رعيّة.

قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم: ٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢ ﴾ [طه: ١٣٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «**كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيَّته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته**» [متفق عليه].

ويقول: «**مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع**» [حديث حسن رواه أبوداود]، وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيّع مَن يقوت**» [حديث صحيح رواه أبوداود].

فهذه النصوص وغيرها كثير جداً تبيِّن وجوب التربية، وأنها حق من حقوق الأبناء على الآباء، وأنه سيُسْأَل يوم القيامة عن هذه الأمانة والرعاية أحَفِظَ أَم ضيَّع؟ فليتق الله الأباء والأمهات في أولادهم بنين وبنات وليربوهم التربية الإسلامية الصحيحة على طاعة الله ورسوله، وليحرصوا كل الحرص على ذلك، ولا يفرطوا

فيندموا ولات حين مندم.

وبعض الآباء والأمهات يفرِّط ويقصِّر في تربية أبنائهم، فإذا سُئل عن ذلك وطلب منه الاهتمام بأبنائه قال: «الهداية بيد الله»، أو قال كما يقول الكثير منهم: «محمد ما هدى عمه»، أو يقول: «فلان اهتمَّ بأبنائه ولم يهتدوا، والآخر قصَّر في تربية أبنائه وهداهم الله». ونحو ذلك من المعاذير والحجج التي لا تنفعه عند الله ولا تعفيه من المسؤولية، وإنما يقولها ليُسكِّت بها مَن يعاتبه على التقصير أو ليريح ضميره من التأنيب على تفريطه في تربية أبنائه.

وللرد على هؤلاء يُقال لهم: الهداية بيد الله ولا شك، فهو الهادي إلى سواء السبيل ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

ولكن الهداية نوعان: هداية دلالة وإرشاد وبيان، وهذه هي التي نُطالب بها آباءً وأمهات، ودعاة ومصلحين، ويُطالب بها كل مؤمن، وهي دلالة الناس إلى الخير وإيضاح الطريق الصحيح لهم، وحثّهم على فعل الخيرات وترك المنكرات، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

والنوع الثاني: هداية التوفيق والإلهام والقبول، وهذه لا يملكها إلا الله جل وعلا، فإنه سبحانه يهدي مَن يشاء برحمته ويضل مَن يشاء بعدله وحكمته سبحانه وتعالى، وهذه منفية حتى

عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

وهذه التي يتمسك بها كثير من المفرطين والمقصرين في التربية والذين يحتجون بأن محمداً ﷺ ما هدىٰ عمه أي عمه أبوطالب، هل فعلوا مع أبنائهم مِعْشَار ما فعله ﷺ مع عمه، فإن النبي ﷺ حرص كل الحرص على هداية عمه، ولكن لم تُقَدَّر له الهداية، فلقد دعاه ﷺ حتى وهو في سكرات الموت بقوله: «**يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. . .**» الحديث في الصحيحين.

والمستدلون بأن فلاناً قصَّر وهدى الله أبناءه، وفلان حرص على أبنائه ولم يهتدوا، يُقال لهم: الذي قصَّر سَيُسْأَل عن تقصيره، والذي حرص ولم يهتد أبناؤه قد أدَّىٰ ما عليه وقام بالأمانة وعمل ما في وسعه، والله لا يطالبه بالنتيجة كما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

إذن، قلب القلوب من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى لا يملكه إلا رب القلوب سبحانه، فقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها.

وإنما يطالب الآباء بالتربية والحرص على ذلك والهداية بيد الله، فإن اهتدى الأبناء فهذا فضل الله يؤتيه مَن يشاء، وإن لم يهتدوا فقد أدَّىٰ الأب ما عليه وبَرِأت بذلك ذمَّته، أمَّا إن قصَّر فهو محاسَب على ذلك كما دلَّت الأدلة السالِف ذِكرها على ذلك.

فعليك أيها الأب وأيتها الأم بالتربية والنُصح والتوجيه والإرشاد، نفعل ذلك كما قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤]، والتوفيق بيد الله جل وعلا، وأجركما على الله ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠].

* * *

المراحل العمرية
والخطوات العملية للتربية

العملية التربوية كلٌّ لا يتجزَّأ، وطريق طويل لا ينتهي، وللاختصار والتوضيح يمكن أن نقسِّمها إلى ثلاث مراحل، ولكل مرحلة خطوات عملية:

المرحلة الأولى: ما قبل زواج الأب بالأم إلى بلوغ الطفل سبع سنوات.

المرحلة الثانية: من سبع سنوات إلى أربع عشرة سنة.

المرحلة الثالثة: من أربع عشرة سنة إلى إحدى وعشرين سنة.

ولنبدأ مستعينين بالله في ذِكْر هذه المراحل بشيء من الإيجاز؛ لأن موضوع التربية طويل جدًّا والإطناب فيه قد يمل.

المرحلة الأولى
ما قبل زواج الأب بالأم إلى بلوغ الطفل سبع سنوات

الخطوات العملية:

١ ـ اختيار الأم:

إنَّ مَن يريد الثمار اليانعة يبحث عن الأرض الطيبة ذات الماء

والخصب؛ ليضع فيها البذور ليخرج نباتها بإذن ربها، وتؤتي أُكُلها كل حين، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف: ٥٨]؛ لذا ينبغي الاهتمام باختيار الزوجة الصالحة؛ لأن الحكمة من الزواج ليست المتعة الجنسية فحسب ـ حتى يكون معيار اختيار الزوجة الجمال ـ وإنما من **حِكَم الزواج العظيمة إنجاب الأولاد الصالحين الذين يعبدون الله ويعملون الصالحات ويكونون ذُخراً لوالديهم في الدنيا والآخرة**، قال ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأُمم**» [رواه أبوداود والنسائي]، وقال ﷺ مبيِّناً معايير الناس في الزواج، ثم بيَّن ﷺ المعيار الصحيح: «**تُنكَح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَت يداك**» [متفق عليه].

وحذَّر ﷺ من الجميلة في المنبت السوء: «**إياكم وخضراء الدِمَن**. قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: **المرأة الحسناء في المنبت السوء**» [رواه الدارقطني].

وقال ﷺ: «**تخيَّروا لنطفكم فإن العِرق دسَّاس**» [رواه ابن ماجه].

فاحرص رعاك الله على المرأة الصالحة العفيفة الطاهرة في البيئة الصالحة المحافظة؛ لتضع البذور في الأرض الطيبة لتخرج الثمار اليانعة بإذن الله، فإن الأم شأنها عظيم في التربية. فينبغي الاهتمام بها. قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وهذا من حقوق الولد على الوالد وهو اختيار أمه.

(جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو عقوق ابنه، فأحضر عمر رضي الله عنه ابنه وأنَّبه على العقوق، فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حق على أبيه؟ قال: بلىٰ. قال: فما هو؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويُعَلِّمه القرآن. فقال الابن: فإن أبي لم يفعل من ذلك شيئاً، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سمَّاني (جُعَل)، ولم يعلِّمني من الكتاب حرفاً واحداً. فالتفت عمر إلى الرجل وقال: أجئت إليَّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقَّك وأسأت إليه قبل أن يسيئ إليك).

فإياك أن تسيئ إلى أبنائك بأم يُعَيَّرُونَ بها أو أم لا تحسن تربيتهم، ولا تكون عوناً لك في ذلك، واعلم أن الجمال ينتهي ومدَّته محدودة ولا يبقى إلا الدين والخُلُق.

قال أبوالأسود الدؤلي لأبنائه: «قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا». قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟! قال: «اخترت لكم من الأمهات مَن لا تُسَبُّون بها».

وأنشد الرياشي هذا المعنى في هذا البيت:

وأول إحساني إليكم تخيري لماجدة الأعراق بادٍ عفافها

[من أدب الدين والدنيا للماوردي ص١٣٢].

واعلم أن النساء لسن سواءً، قال الشاعر:

أرىٰ صاحب النسوان يحسب أنها ... سواءٌ وبَوْنٌ بينهن بعيد
فمنهن جنات تفيء ظلالها ... ومنهن نيران لهن وقود

فتأمَّل في اختيار الزوجة وتَحَقَّق واعمل عقلك لا عاطفتك، وانظر إلى المستقبل البعيد والعواقب في الدنيا والآخرة لا إلى الشهوة الرخيصة الفانية. **واظفر بذات الدين تربت يداك**، وصية حبيبك ﷺ.

٢ ـ ذِكر اسم الله عند الجِماع:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن أحدكم إذا أتىٰ أهله قال: بسم الله، اللهم جنِّبنا الشيطان وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا، فقُضي بينهما ولد لم يضره**» [متفق عليه]، وفي رواية للبخاري: «**لم يضره شيطان أبداً**».

٣ ـ اختيار الحي والجيران:

وذلك أن الإنسان يتأثَّر ببيئته خاصة المرأة والأطفال، فهم يتأثرون بأقربائهم وجيرانهم ومَن يحتكُّون بهم، والأحياء تختلف، فحيٌّ يغلب على سكانه المحافظة والقيام بالشعائر التعبدية الظاهرة، لذلك تكثر فيه المساجد وتظهر فيه أعمال الخير، وأحياء دون ذلك، لذا فالحريص على تنشئة أبنائه النشأة الصالحة يحرص على اختيار الحي والجيران كما حرص على اختيار الأم، ليهيئ البيئة

الصالحة التي تعينه على تربية أبنائه. وقديماً قيل: (**الجار قبل الدار**). قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لقوله تعالى عن امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾: قال العلماء: «اختارت الجار قبل الدار، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع» [تفسير ابن كثير].

فللجار أهمية كبرىٰ قد لا يأبَه لذلك كثير من الناس، وقد قال ﷺ: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيئ. وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والسكن الضيّق**» [«صحيح الجامع» برقم (٨٨٧)].

وقد تعوّذ ﷺ من جار السوء، قال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول**» [«صحيح الجامع» برقم (١٢٩٠)].

وكذلك في السكن يلاحظ بُعْده عن أماكن المنكر وقُرْبه من المسجد، والأفضل أن يكون المسجد جامعاً وإن كان السكن البعيد عن المسجد أفضل من حيث كثرة الخُطىٰ، ولكن قد تُترك هذه المصلحة لمصالح أكثر منها، ومن القواعد الشرعية مراعاة أعلى المصلحتين.

ومن مصالح قرب السكن من المسجد:

١ ـ ذهاب الأطفال المميزين للمسجد في حال غيبة أبيهم أو

سفره، خاصة في صلاة الفجر.

٢ ـ ذهابهم إلى حلقات القرآن المقامة في المسجد دون الحاجة إلى مَن يذهب بهم، لأنهم إذا احتاجوا إلى مَن يذهب بهم فإنهم سيتأخرون كثيراً عن الحلقات، وذلك لعدم تيسر مَن يداوم على الذهاب بهم إلا ما ندر.

٣ ـ سماع الأهل للمواعظ والدروس التي تلقى في المسجد عبر المكبر، وكذا سماعهم للخطبة إن كان جامعاً.

٤ ـ حضور النساء إلى المسجد في رمضان لصلاة التراويح وحضور المحاضرات وحلق القرآن النسائية.

٥ ـ سماع المؤذن ومتابعته.

٦ ـ حضور كبير السن والمريض إلى المسجد القريب.

إذن للمسجد القريب في هذا العصر فوائد كثيرة تفوق فائدة أجر كثرة الخطىٰ، خاصة بعد أن ضعفت الهِمَم.

٤ ـ ملاحظة الأم أثناء الحمل:

وذلك بعدم تناول ما يضر بالحمل أو يسبب تشوهه، مثل بعض العقاقير والأدوية والأشعة وبعض الأعمال الشاقة التي قد تسبب سقوط الجنين.

وفي هذا العصر ابتُلي بعض النساء بالتدخين وتناول المسكرات والمخدرات، فمع كونها محرَّمة فلها أضرار جسيمة على الحمل. فلتتق الله المرأة المسلمة في نفسها، ولتجتنب ما يضر

بها وبجنينها قبل أن يولد، وقد أثبتت التجارب أن بعض الأطفال يولد مدمناً إذا كانت الأم مدمنة، وذلك أن الجنين يتغذَّىٰ بالغذاء المهضوم هضماً تامًّا من الأم عبر الحبل السري، وبذا يتأثَّر بما تتناوله الأُم.

فأي جريمة هذه على طفل بريء يولَد على الفطرة ويولد مدمناً؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٥ ـ الرضــــاع:

والمقصود بالرضاع: الرضاع الطبيعي من الأم، فهو أفضل بكثير من الرضاع الصناعي، وله أثر كبير في تنشئة الطفل وصحَّته، حيث أن حليب الأم هو الغذاء المناسب للوليد، فهو يحتوي على البروتين والدهون والمعادن والماء والسكريات والفيتامينات بكميات مناسبة لحاجة الوليد[١]، وللرضاع الطبيعي فوائد كثيرة على الطفل وعلى الأم، منها:

١ ـ الطفل يرضع لبناً نظيفاً معقَّماً.

٢ ـ ليس بارداً ولا حارًّا.

٣ ـ متوفر في كل الأوقات لا يحتاج إلى إعداد.

٤ ـ لا يفسد بالتخزين ولا تنتهي صلاحيته.

---

(١) من كتاب «الرضاعة الطبيعية وآثارها النفسية على الأم والطفل»، أسماء عايض الودادي.

٥ ـ يتناسب مع معدة الطفل.

٦ ـ يفي باحتياجات الطفل.

٧ ـ يضفي على الطفل مناعة خاصَّة ضد الجراثيم.

٨ ـ يمنع حدوث السمنة للرضيع ولأمه.

٩ ـ له آثار نفسية حيث يولد الحب والحنان ويقوي الرابطة العاطفية بين الأم ووليدها. حيث يشعر الطفل بحاجته إلى أمه ويلتقم ثديها ويلتصق بصدرها في اليوم مرات عديدة، فكم ستورث هذه من العاطفة والحب بينهما[1].

ولعلَّ من أسباب عدم عطف كثير من الأبناء على أمهاتهم وكثرة العقوق في هذا العصر: عدم الرضاعة الطبيعية، وكثرة الرضاعة الصناعية، ولما للرضاع من أهمية، أوجب الإسلام على الأم إرضاع ابنها، قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ولما للرضاع من أثر على المرتضع «نهى النبي ﷺ أن تسترضع الحمقاء»[رواه أبوداود]. قال ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقاً على هذا الحديث: «لأن للرضاع تأثيراً في الطباع»، ثم قال: «وحكى القاضي أن من ارتضع من امرأة حمقاء خرج الولد أحمق، ومن ارتضع من سيئة الخلق تعدى إليه، ومن ارتضع من بهيمة كان

---

(١) من كتاب «منهج التربية النبوية للطفل» محمد نور بن عبدالحفيظ سويد. بتصرف.

بليداً كالبهيمة» [حاشية الروض (٧/١٠٦)].

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه يقال إن الرضاع يغيِّر الطباع» [المغني (١١/٣٤٦)].

فكيف بأصحاب الحليب الصناعي الذي لا يُدرى أين مصدره ولا مَن صنعه...؟! اللهم ارحم أطفال هذا العصر.

٧ ـ التحنيـــك:

وذلك بمضغ تمرة ثم وضعها في فم الصبي ودلكها في حنكه، وهو ثابت من فعل النبي ﷺ كما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسمَّاه إبراهيم، فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة، ودفعه إليَّ وكان أكبر ولد أبي موسى» [رواه البخاري]، وقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ حنَّك عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، وحنَّك ابن أبي طلحة وغيرهما. [انظر: «الأحاديث في فتح الباري» رقم (٥٤٦٧، ٥٤٦٨، ٥٤٦٩، ٥٤٧٠)].

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم ويحنِّكهم» [رواه أبوداود].

فهذا يدل على أن التحنيك مستحب، ويكون في اليوم الأول، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتفق العلماء على استحباب تحنيك المولود عند ولادته...» [«صحيح مسلم بشرح النووي» (١٤/١٢٢)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأولاه التمر، فإن لم يتيسَّر فرطب،

وإلا فشيء حلو، وعسل النحل أولى من غيره» [«فتح الباري» (٩/٧٢٨)].

والحكمة في ذلك غير واضحة، ولكن نقتدي برسول الله ﷺ، فلن يفعل إلا لحكمة، والشريعة كلها حكم علمناها أم جهلناها، وقد قيل في ذلك: «أن يُتفاءل له بالإيمان؛ لأن التمر ثمرة الشجرة التي شبهها رسول الله ﷺ بالمؤمن وحلاوته».

قال صاحب كتاب «أحكام المولود في السنة المطهرة»: «وقد أثبت الطب فائدة عظيمة للتحنيك، وهي نقل بعض الجراثيم في الأمعاء لتساعد على عملية الهضم» [«أحكام المولود في السنة المطهرة» سالم راشد الشبيلي ومحمد خليفة محمد الرياح، ص(٣٤)]. والله أعلم.

٧ ـ النسيكة (العقيقة):

وهي سنة، ويرى بعض العلماء وجوبها.

عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة، تُذْبَح يوم السابع، أو الرابع عشر، أو الحادي والعشرين، أو أي يوم بعد ذلك، وأدلة مشروعيتها قوله ﷺ: **«كل مولود رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويحلق، ويسمى»** [رواه أصحاب السنن]، ومعنى قوله ﷺ: **«رهينة بعقيقته»**: أي تنشئته نشأة صالحة وحفظه حفظاً كاملاً مرهون بالذبح عنه، وقال ابن القيم: «فكانت العقيقة فداءً وتخلصاً له من حبس الشيطان له وسجنه» [تحفة المودود ص(٨٩)]. وقال الخطابي: «اختلف الناس في هذا، وأجود ما قيل فيه ما ذهب إليه أحمد بن

حنبل، قال: «هذا في الشفاعة، يريد أنه إذا لم يعق عنه فمات طفلاً لم يشفع في أبويه» [عون المعبود شرح سنن أبي داود (٨/ ٢٧)].

قال الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الحديث: «هذا حديث صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، يستحبون أن يذبح عن الغلام العقيقة يوم السابع، فإن لم يتهيأ يوم السابع فيوم الرابع عشر، فإن لم يتهيأ عُقَّ عنه يوم حادي وعشرين، وقالوا: لا يجزئ في العقيقة من الشاة إلا ما يجزئ في الأُضحية» [عارضة الأحوذي (٦/ ٣١٩)].

وننبه هنا في هذه المسألة:

١ - أن النسيكة مختلف في وجوبها، والأرجح الوجوب؛ للأحاديث التي تأمر بذلك، ولم يصرفها عن الوجوب صارف، وليس هذا موضع بسط ذلك وإنما التنبيه حتى لا يُتساهل فيها.

٢ - أن لها أثراً في تنشئة الطفل.

٣ - أنها شكر لله عز وجل على ما أنعم به من نعمة الأولاد، وقد قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

٤ - أن الأحاديث التي فيها ذِكر ذَبْح الشاة مثل أحاديث العقيقة والأُضحية والهدي والفدي وغيرها لا تختص بالأنثى، وإنما تشمل الذكر والأُنثى.

عن أم كرز أنها سألت النبي ﷺ عن العقيقة؟ فقال: عن الغلام شاتان، وعن الأنثى واحدة، ولا يضركم ذكراناً كن أم إناثاً.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٨ ـ حلق رأس المولود والتصدُّق بوزن شعره:

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أبوعمر بن عبدالبر: أما حلق رأس الصبي عند العقيقة فإن العلماء كانوا يستحبون ذلك» [تحفة المودود ص(١١٢)].

وقد سبق الحديث في النسيكة قوله ﷺ: «كل مولود رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى».

وعن علي رضي الله عنه قال: عقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة وقال: «يا فاطمة احلقي رأسه وتصدَّقي بزنة شعره فضة»، قالت: فوزنته فكان وزنه درهماً أو بعض درهم. [رواه الترمذي].

٩ ـ الأذان في أُذُن المولود:

عن أبي رافع، عن أبيه رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أُذُن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة» [أبوداود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال جماعة من أصحابنا: يُستَحَب أن يؤذن في أذنه اليمنى، ويقيم في أذنه اليسرى» [الأذكار ص(٢٥٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسر التأذين والله أعلم، أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له

شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يُلَقَّن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثُّره به وإن لم يشعر، مع ما في ذلك من فائدة أخرىٰ وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان» [تحفة المودود ص(٤٨)].

١٠ ـ الاسم الحسن والكنية الطيبة:

إن من حقوق الابن على أبيه أن يُحسِن اسمه، ففي الحديث: «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء أبائكم، فأحسنوا أسماءكم**» [رواه أبوداود بإسناد جيد].

وعن عائشة رضي الله عنها «**أن النبي ﷺ كان يغيِّر الاسم القبيح**» [رواه الترمذي].

فينبغي للأب أن يحسن اسم ابنه ويسميه بأسماء الأنبياء والصالحين والعلماء وأهل الجهاد من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان؛ حتى يتذكَّر هؤلاء، ولعلَّه أن يحاكيهم، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: لمَّا قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤن ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلمَّا قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «**إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم، والصالحين قبلهم**» [رواه مسلم]. فحريٌّ بنا أُمَّة الإسلام ونحن مَن يقول الله عنا: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] أن نسمى بأسماء الأنبياء

والصالحين، وأن نبتعد عن أسماء الجبابرة والكفرة والفسقة والأسماء الصعبة، كصعب وحرب ومرة، وكذلك الأسماء المعبدة لغير الله، كعبد النبي، وعبد شمس، ونحو ذلك، فهذا مُحرَّم، وكذلك الأسماء التي فيها تزكية كبرة، ونحو ذلك، وكان النبي ﷺ يغير تلك الأسماء كما جاء في حديث عائشة السابق ذكره، وكره بعض العلماء التسمي بأسماء الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل، قال أشهب: «سئل مالك عن التسمي بجبريل، فكره ذلك ولم يعجبه». [ذكره ابن القيم في تحفة المودود ص١٣١٠)].

وكذلك التسمي بأسماء القرآن وسوره، مثل طه، ويس، والمدثر، والمزمل، ونحو ذلك، وذكر ذلك ابن القيم رحمه الله في «تحفة المودود» ص(١٣٩).

ومن الأسماء الحسنة الطيبة: عبدالله وعبدالرحمن.

وفي الحديث: «إن أحب الأسماء إلى الله عز وجل: عبدالله وعبدالرحمن» [رواه مسلم].

وأما الكنية، فهي إن كانت طيبة، فلها أثر في النفس وإكرام للمكنى، قال الشاعر:

أُكنيه حين أناديه لأكرمه   ولا ألقبه والسوءة اللقبُ

والكنية ما صدر بأبي فلان أو أم فلان، واللقب ما يفهم منه وصف معين، والغالب أنه للذم؛ ولذا فالكنية كرامة حتى للصغير، وقد كنى النبي ﷺ أبا عمير وهو صغير فكان يداعبه بقوله:

«يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْرُ» [متفق عليه].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عجلوا بكني أولادكم، لا تسرع إليهم الألقاب السوء» [الآداب الشرعية لابن مفلح (١/٥٠٩)].

وفي الكنية تفاؤل بأن الولد سيعيش حتى يولد له، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «قال العلماء: كانوا يكنون الصبي تفاؤلاً بأنه سيعيش حتى يولد له، وللأمن من التلقيب». ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا قال قائلهم: بادروا أبناءكم بالكنى قبل أن تغلب عليهم الألقاب، وقالوا: الكنية للعرب كاللقب للعجم» [فتح الباري (١٠/ ٧١٤)].

فأحسِن اسم ابنك وكنِّه الكُنية الطيِّبة يكن له من ذلك بتوفيق الله نصيب، واحذر من تلقيبه وتعييره أو نسبته إلى مَن لا يُرضى دينهم ولا ترضى أخلاقهم أو بالحيوانات ونحو ذلك، فلهذا تأثير عليه، فلو لقَّبته بالبليد مثلاً أو الكسول أو العاصي ونحو ذلك، فقد يستمر هذا الوصف، وقد يُصاحبه في حياته، فاحذر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فقلَّ أن ترىٰ اسماً قبيحاً إلا وهو على مسمى قبيح، كما قيل:

وقلَّما أبصرت عيناك ذا لقب   إلا ومعناه إن فكرت في لقبه»

[تحفة المودود ص(١٨)].

١١ ـ الدعاء له وتعويذه:

أيها الوالد الكريم، أيها المربي الحكيم، إنك مهما بذلت من وسائل التربية، ومهما كنت مربياً ومعلِّماً، إن لم يعنك الله وإن لم يوفقك جل وعلا، فلن يكون لتربيتك وتعليمك أي أثر في ابنك وبنتك.

إذا لم يكن عون من الله للفتىٰ فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

ولا أقول إن تربيتك وجهدك ذهبت أدراج الرياح إن لم يُقَدِّر الله الهداية لولدك، كلا وحاشىٰ، فالله لا يضيع أجر مَن أحسن عملاً، فأجرك على الله وبرئت ذمَّتك، والهداية بيد الله، فلذا مع الجد والاجتهاد في التربية والنُصح والإرشاد للولد لا تنس سلاحك المضاء، ألا وهو الدعاء.

فالدعاء هو العبادة، كما صحَّ الحديث بذلك، فادع الله وأنت موقن بالإجابة، وتضرَّع إليه أوقات السحر ومظان الإجابة، بأن يهدي الله ذريَّتك ويجعلهم قرَّة عين لك.

سهام الليل لا تخطئ ولكن لها أجل وللأجل انقضاء

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومن دعاء عباد الرحمن: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ

أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

وها هو أبو الأنبياء الخليل عليه السلام يدعو لأبنائه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وذا زكريا عليه السلام يدعو ربّه: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿... قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال الله عن امرأة عمران: ﴿... وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٦].

وفي الصحيحين: أن النبي ﷺ كان يعوِّذ الحسن والحسين فيقول: **«أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»، ويقول: «هكذا أبي إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق»**.

وتجنَّب الدعاء عليهم، فقد نُهيت عنن ذلك، يقول ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاءً فيستجيب الله» [رواه مسلم].

وكم من إنسان دعا لأولاده وتضرَّع في السحر وناشد ربه جل وعلا، سميع الدعاء ومجيب المضطر، فاستجاب له ربّه وأصلح ولده.

واعلم أنك لن تخيب في الدعاء، فهو عبادة ولك فيه أجر وخير، إن لم يحجبه مانع من موانع إجابة الدعاء، يقول ﷺ: «**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**»، فقال من القوم: إذاً نكثر، قال: «**الله أكثر**» [رواه الترمذي]، وفي رواية للحاكم: «**أو يدَّخر له من الأجر مثلها**». فأكثِر من الدعاء في جوف الليل وأدبار الصلوات، وأنت ساجد.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات**» [رواه الترمذي].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثِروا الدعاء**» [رواه مسلم].

وتحرَّ أوقات الإجابة الأخرى كيوم الجمعة، وأثناء السفر، والصيام، ونزول الغيث، ونحو ذلك، وابتعد عن موانع الإجابة، ومن أعظمها أكل الحرام الذي يبعد معه استجابة الدعاء. وإياك أن تقنط وتيأس من الدعاء وتقول: دعوت فلم يستجب لي، يقول ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول دعوت فلم يستجب لي» [متفق عليه]. وكم من ولد بلغ في الفسق والانحراف مبلغاً عظيماً وظنَّ الناس أن فلاناً لا يهتدي ثم هداه الله عز وجل وأصبح من الدعاة وأئمة المساجد، والشواهد كثيرة على ذلك فلا تيأس.

مراعـاة فطرتـــه:

حيث أنه مولود على فِطرة الإسلام وتوحيد الله عز وجل، كما قال جلَّ وعلا: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ [الروم: ٣٠]. ويقول ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...**» [رواه البخاري ومسلم].

فيجب على الأبوين مراعاة هذه الفطرة والمحافظة عليها، فهو مولود على الإسلام؛ ولذا لم يقل ﷺ: فأبواه يمسلمانه؛ لأنه مسلم، وإنما نحتاج معاشر الآباء إلى الحفاظ على هذه الفطرة ورعايتها، **فأول ما يعلم الطفل كلمة التوحيد**، فيُلَقَّن إياها أول ما يبدأ ينطق. عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**افتتحوا على صبيانكم أول كلمة، لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله**» [رواه الحاكم]. ورُوي عن إبراهيم: «**إن كانوا يستحبون أول ما يفصح أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك أول ما يتكلم به**» [مصنف عبدالرزاق برقم (٧٩٧٧)]. وكانت أم سليم رضي الله عنها تلقن ابنها أنساً رضي الله عنه، قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمداً رسول الله. وذلك قبل الفِطام. [سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٥)].

وينبغي تكرارها أمامه، **خاصة الأُم وهي تلاعبه**، فإذا تعوَّد عليها وبدأ يعقل شرحت له شرحاً مبسطاً يفهمه، ويعلم أن الله واحد لا شريك له، وأنه الخالِق، وأنه في السماء وعلى عرشه

استوىٰ، وأنه مطَّلِع علينا، عليم بأحوالنا، يسمع ويرىٰ، وأنه القادر على كل شيء، ويعوَّد التوكُّل على الله، وأن الله هو الشافي، وهو النافع الضار سبحانه، وأن الواجب علينا محبَّة الله وعبادته.

وكذلك يُعَلَّم حبّ النبي ﷺ وطاعته، ويُذْكَر له شيئاً من أخلاقه وأوصافه ﷺ، وأنه يحب الأطفال ويداعبهم، ونحو ذلك مما تفهمه عقولهم، ويكرر عليهم سؤال (**مَن ربك، ومَن نبيّك، وما دينك**»، وسؤال: (أين الله)، وهكذا يتدرج معهم في تعليمهم مهمَّات العقيدة وأصولها بما يتناسب مع عقولهم بالكلام المباشر تارة وبالسؤال تارة وبالقصص أخرىٰ.

ويُعَلَّم كذلك حب الصحابة والصالحين، ويحفظ الفاتحة وسورة الإخلاص والمعوذتين وقصار السور.

١٢ ـ تعويده بعض الآداب والأخلاق الطيبة، وتنفيره من الأخلاق الرديئة:

وهذا يبدأ بعد الفِطام، وبعد أن يبدأ الطفل يعقل، فهذه الفترة يمتاز الطفل فيها بصفاء الفطرة وحب التقليد والمحاكاة. فهو عجينة سهلة يستطيع المربي تشكيلها حيث شاء ـ بإذن الله ـ فلا تستهن بهذه المرحلة ولا تقل هو صغير لا يعقل فتهمل.

قال الشاعر:

قد ينفع الأدبُ الأولاد في صغر ... وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ولا يلين ولو لينته الخشب

فاغتنم فرصة السهولة والليونة، وأدِّب وعلِّم بمقدار ما يفهم الطفل ويعقل، فعوِّده آداب الأكل والنوم والسلام والأخذ باليمين والعطاء بها، وحمد الله إذا عطس وتشميت العاطس، وغير ذلك من الآداب، وكذا خُلُق الصدق والأمانة، ونحو ذلك من الآداب والأخلاق الطيبة.

عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر النبي ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا غلام، سَمِّ الله، وكُل بيمينك، وكُل مما يليك»** قال: فمازالت تلك طِعمتي بعد. [متفق عليه].

ونَفِّره من الأخلاق الرديئة كالكذب والأنانية والغيرة من إخوانه، خاصة ممن هو أصغر منه؛ لأن هذا يحصل لكثير من الأطفال.

ويُنَفَّر من الشره في الطعام، ونحو ذلك من الأخلاق الذميمة.

قال الغزالي رحمه الله: «وأوّل ما يغلب عليه من الصفات: شره الطعام، فينبغي أن يُؤَدَّب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، وأن لا يبادِر إلى الطعام قبل غيره، وأن لا يحدِّق النظر إليه، ولا إلى مَن يأكل، وأن لا يُسْرِع في الأكل، وأن يجيد المضغ، ولا يوالي به اللقم ولا

يلطِّخ يده وثوبه» [من كتاب: أقوال في تربية الأولاد، جمعها الشيخ محمد المسند].

ومما يجب على الوالدين: تحذير الطفل من الحرام الذي قد يحصل له، كما حذَّر النبي ﷺ الحسن من الأكل من الصدقة، حيث أنها محرَّمة على آل البيت، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال ﷺ: «كخْ كخْ، إرم بها، إرم بها، **أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة؟**» [متفق عليه].

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه رأى ابناً له عليه قميص من حرير فشقَّه وقال: «إنما هذا للنساء». [مصنف ابن أبي شيبة (٨/١٦١)].

فالواجب على الأبوين منع الطفل من الحرام، وهو إن كان مرفوعاً عنه القلم فإنه إذا اعتاد الحرام في صغره ألفه في كبره وصعب عليه التخلص منه. وعلى الأم خاصة تعويد البنت على الحياء والبُعد عن الرجال الأجانب، ولبس البنات الملابس الساترة والبُعد عن الملابس القصيرة التي ابتلي بها كثير من المسلمين اليوم، فأصبح من الصعب البحث عن الثوب الساتر للبنيات في محلات الأزياء، وما ذاك إلا لتساهل كثير من المسلمين في لبس بناتهم الصغيرات للثياب القصيرة، وما هذا إلا من تسويل الشيطان وإلا فمن حسَّن عندهم لبس البنت للقصير مع إلباسهم للولد الملابس الطويلة؟!

فعوِّد أبناءك الأخلاق الطيبة وأبعدهم عما حرَّم الله عليهم ينفعك الله بهم، فإذا أطعت الله فيهم أطاعوا الله فيك بتوفيق الله، والجزاء من جنس العمل.

١٣ ـ ملاطفته ومداعبته:

إن ملاطفة الطفل وملاعبته لها أثر كبير في نشأة الطفل النشأة السليمة بإذن الله؛ لأن اللعب جزء لا يتجزَّأ من حياته، وفيه فوائد كثيرة للطفل، ففيه المتعة والتسلية وتقوية الجسم والعضلات وتمرين الطفل على الحيوية والنشاط والبُعد عن الخمول والكسل، وفيه تنمية المهارات وجوانب الإبداع والابتكار.

والطفل النشيط الذكي هو الذي يُكْثِر من اللعب والحركة، فلا تستهن بلعب الأطفال فتصادم فطرهم وما جبلوا عليه، وإنما حاول توجيه هذا اللعب واستثماره في تربية الطفل، بل وشارك الأطفال لعبهم، وداعبهم ولاطفهم حتى يحبوك ويأنسوا بك ويسمعوا لنصحك وتوجيهك، فالله جل وعلا قال لنبيه ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد كان ﷺ خير الناس لأهله كما قال: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» [رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي].

وكان ﷺ يلاطف الأطفال ويداعبهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ ليدلع

لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش له» [سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٧٠)].

وعن محمود بن الربيع قال: «عقلت من رسول الله ﷺ مجة مجها في وجهي من دلو بئر كانت في دارنا وأنا ابن خمس سنين» [متفق عليه].

وعن عمر رضي الله عنه قال: «رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقي النبي ﷺ، فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال عليه الصلاة والسلام: ونِعْم الفارسان هما» [رواه أبويعلى].

وكان ﷺ يداعب أخا أنس بن مالك رضي الله عنهما ويقول له: «يا أبا عمير، ما فعل النُّغَيْرُ» [متفق عليه].

ومرَّ ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق، فقال ﷺ: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان»، فأمسك أحد الفريقين عن الرمي فقال ﷺ: «ما لكم لا ترمون؟»، فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال: «ارموا وأنا معكم كلكم» [رواه البخاري].

وعن عبدالله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيدالله وكثير بني العباس رضي الله عنهم، ثم يقول: «مَن سبق فله كذا وكذا»، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره، فيُقَبِّلهم ويلتزمهم. [رواه أحمد].

وكانت عائشة رضي الله عنها تلعب بالبنات، وكان النبي ﷺ

يُسرِّبهن إليها لتلعب معهن. [متفق عليه]. (يسربهن: يردهن».

فهذه النصوص وغيرها كثير تدل على ملاعبة النبي ﷺ للأطفال واعترافه بلعبهم بل وتشجيعهم عليه، وما ذاك إلا لمعرفته ﷺ بأثر اللعب على الأطفال وحاجتهم إليه. فعن طريق اللعب تبث في الأطفال الأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة وغيرها، وتحذرهم عن الأخلاق الذميمة كالكذب والخيانة والغش والألفاظ البذيئة ونحو ذلك.

فمثلاً إذا كنت تلعب مع أطفالك أو تشاهدهم وهم يلعبون وتسر بذلك وتشجعهم عليه، فتستطيع بذلك:

١ ـ توجيه اللعب إلى ما يفيد، كالرمي مثلاً، والألعاب التي تكسبهم المهارات وتقوي الجسم.

٢ ـ إبعادهم عن الألعاب التي لا فائدة فيها أو فيها مضرة جسمية أو عقلية، أو تكون ألعاباً محرَّمة، ونحو ذلك.

٣ ـ إذا سمعت كلمة بذيئة، كسَبٍّ أو لعن تستطيع أن تتدخل وتحذر من هذه الكلمة وتبين خطرها وإثمها، وقد تُهدد بإلغاء اللعب إذا تكرَّرت، ومثل ذلك الكذب أو الغش، فكم لهذا من أثر يفوق محاضرة يسمعها الطفل ولا يعقلها.

٤ ـ إذا صدق الطفل أو فعل خُلُقاً طيباً شجَّعته على ذلك أو أعطيته جائزة أو اعترفت بفوزه في هذا اللعب، ونحو ذلك، فلهذا أيضاً أثره العظيم.

٥ ـ عن طريق اللعب تستطيع اكتشاف مواهب وميول أبنائك وتعرف قدراتهم العقلية والجسمية.

٦ ـ شعور الأطفال وهم يلعبون على أعين والديهم بالراحة والطمأنينة أما إذا كان الأبوان أو أحدهما يمنعان من اللعب فسيلعب الأطفال شاء الآباء أو أبوا؛ لأن اللعب جبلَّة في خلقتهم، ولهذا أثره على نفسية الأطفال حيث يشعرون بأنهم يخطئون ويسترون هذا الخطأ، وبالتالي يدربهم ذلك على كثير من فعل ما يمنع ويستترون بذلك مع ما يورث من جفاء بين الأبوين وأبنائهما خاصة الأب؛ لأنه الأقوى منعاً، ويستثقلون وجوده في المنزل. ولهذا آثاره النفسية على الأطفال مع حرمان ما سبق من الفوائد.

لذا أيها الأب الموفَّق، اهتمَّ بلعب أطفالك وشاركهم واقتدِ بنبيك ﷺ، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وكُن في بيتك مع أولادك كما قال الفاروق رضي الله عنه:

«ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي، فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً» [رواه ابن أبي الدنيا].

بمعنى أن يكون الرجل مع أطفاله وأهله في الأنس والبشاشة والمداعبة كالصبي، فإذا احتاج الأطفال للأدب فإذا هو رجل.

١٤ ـ حرص الأم على تغذية الطفل ونظافته ونومه وصحته وأمنه:

يجب على الأم الحرص على تغذية الطفل، فأولاً بالرضاع الطبيعي من الأم، وقد سبق ذكر فوائده، ويقتصر عليه إلى نبات الأسنان؛ لأن المعدة لا تستطيع هضم الطعام، فإذا نبتت الأسنان بدأت الأم في التدرج معه بالطعام بالأسهل هضماً.

ويجب الحرص على نظافته ونظافة ملابسه وفراشه، وأدواته التي يستعملها، ومتابعته وعدم الغفلة عنه، ومنعه من الأشياء الضارة به، فهي مسؤولة عنه في هذا السن، فإنها تأثم لو حصل له ما يضره؛ لأنه أمانة في عنقها.

ومما ينبغي على الأمهات الحرص عليه أن تتولى هي بنفسها خدمة أطفالها وعدم إسلامهم إلى الخادمة؛ لما في ذلك من الأثر على نشأتهم، لأنهم يتأثّرون بأخلاقها، وربما تعلّقوا بها أكثر من أمهاتهم.

ومما يجب على الأم: إشباع غريزة الطفل من الحنان والشفقة والشعور بالأمن، فإن الطفل في هذه السن محتاج إلى ذلك أشد من حاجته إلى الطعام، فإذا احتاج إلى الطعام سيجد مَن يطعمه، لكن عند مَن سيجد الحنان والشفقة واللطف؟! إذا لم يجده عند الأم، فيجب على الأمهات أن يشعرن أطفالهن بالحب والحنان والشفقة واللطف بالكلمة الحانية والضمة إلى الصدر والتقبيل ومسح الرأس

ومسك اليد عندما تسير معه أو حمله، وتلعيبه بين يديها، كما كانت فاطمة بنت محمد ﷺ ترقص الحسن بن علي رضي الله عنهم وتقول: «ابني شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي» [ذكره ابن حجر في الفتح (٦٢/١٢٢)، وعزاه للإمام أحمد رحمه الله]. فترقيص الطفل وتلعيبه بين يدي أمه، وذِكر بعض العبارات السهلة البسيطة، وذِكر الله في وجهه والصلاة على رسوله لها أثر عظيم.

ومما يجب على الأم: الحرص على أمن الطفل وعدم تخويفه بالأصوات المزعجة أو المناظر المخيفة، فإنه ينشأ بذلك جباناً يخاف من أي صوت مزعج وأي منظر مخيف؛ لأنه خُوِّف من صغره بذلك، وينبغي للأم أن تنوِّم طفلها بجانبها ليشعر بالأمن والحنان.

ومما ينبغي على الأم: أن لا تجزع لصياح الطفل أو كثرة لعبه وحركته، فهذه طبيعة وجبلَّة في هذا السن، وإنما تحاول تهدئته إن زاد ذلك عن حدّه بالتي هي أحسن، لا بالتخويف والضرب ونحوه.

وإذا سقط من يد الطفل شيء فانكسر، وانسكب ما فيه أو سقط هو، فلا يبادر بالإنكار أو بالأخذ مباشرة، وإنما يذكر اسم الله عليه، ويترك الطفل قليلاً ـ إذا لم يكن في ذلك مضرَّة عليه ـ حتى يهدأ، وإن كان يعقل فيعلَّم بالتي هي أحسن، لماذا أسقط كذا، أو لماذا هو سقط، أما المبادرة بالإنكار فهذه تؤثِّر عليه فيرتاع وترتعد فرائصه كلما سقط منه شيء، ولو كان كبيراً، وقد يبكي عند ذلك

أو ينبهت، وهذا من آثار التربية السقيمة.

وأُهيب بالأم وكذا الأب مراجعة كتاب «تحفة المودود بأحكام المولود» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، خاصة الباب السادس عشر، ففيه فصول نافعة في تربية الأطفال تحمد عواقبها عند الكبر.

١٥ ـ نظافــة البيــت:

أ ـ النظافة الحسية:

وهذه معروفة، وذلك بالحرص على تنظيف البيت وإزالة ما يضاد نظافته، ورشّه بالمبيدات الحشرية إذا احتاج إلى ذلك؛ لأن لنظافة السكن وترتيبه وحُسن تنظيمه أثر على صحة ساكنيه، خاصة الأطفال ضعيفي المناعة ضد الأمراض المعدية، وكذلك تعود الأطفال على النظافة والترتيب والتنظيم في حياتهم العملية.

ب ـ النظافة الشرعية:

كما أن أهل البيت يحرصون على نظافة البيت الحسية ويبعدون عنه ما يسبب تكاثر الحشرات والميكروبات الضارة ويستخدمون المبيدات الحشرية والمنظفات والمعقمات لذلك.

فإن هناك أموراً تسبب تراكم الجن والشياطين التي هي أشد فتكاً وضرراً بأهل البيت من الحشرات والميكروبات، ولكن الكثير لا يشعرون بذلك إلا بعد حصول الضرر، بل البعض لا يشعر ولو حصل له أضرار كبيرة بأسباب ذلك. وإن كنا أمنا بالميكروبات بل بالفيروسات الصغيرة جداً التي لا تُرىٰ إلا بالمجهر الألكتروني

المكبّر آلاف المرات. ونحن لم نرها وإنما أخبرنا الأطباء وعلماء الأحياء وحذرونا أضرارها، وسعينا فيما يقتلها، ويقلل ضررها، فلماذا لا نؤمن بدخول الجن والشياطين إلى البيوت وقد حذرنا أصدق القائلين جل وعلا عن أضرارها ومخالطتها لنا. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وحذَّرنا كذلك الصادق المصدوق ﷺ من شرهم وأذاهم، وبيَّن أسباب وجودهم في المنازل ـ وسيأتي بإذن الله الاستدلال على ذلك ـ فيجب علينا تنظيف بيوتنا من كل ما من شأنه أن يسبب دخول هؤلاء وتراكمهم في بيوتنا. ولعلك تعرف تلك الأسباب، ومن أعظمها:

١ ـ آلات اللهو الطرب:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤]، قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ (باللهو والغناء، واستخفهم بذلك) [تفسير ابن كثير].

٢ ـ التلفاز ـ الفيديو ـ الدش ـ الصور المحرمة، ونحوها:

وهذه الوسائل تعرض الفسق والفجور والكذب، فيخشى من تنزل الشياطين على هذه البيوت التي تحتوي تلك الوسائل.

وفي الحديث عن سالم، عن أبيه، قال: «وعد جبريلُ النبي

ﷺ فراث عليه ـ أي تأخَّر ـ فاشتدَّ ذلك على النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ فلقيه جبريل فشكا إليها ما وجد، فقال ـ أي جبريل عليه السلام ـ «**إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب**» [رواه البخاري]، وترجم له بقوله رحمه الله: (باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة). فانظر وقاك الله بيوت كثير من المسلمين وما فيها من الصور والأجهزة التي تنقل الصور الفاتنة للرجال والنساء واللهو والطرب.

أليس هذا مؤذن بتنزل الشياطين وإبعاد الملائكة المقربين؟ فهذا بيت النبوة بيت سيد ولد آدم ﷺ لم يدخله جبريل عليه السلام، لوجود الصورة والكلب حتى أمر ﷺ بالكلب فأخرج والصورة فقطعت وسائد، والملائكة تدخل معهم البركة والسكينة والطمأنينة، والشياطين يدخل معهم القلق والاضطراب والأمراض النفسية والعصبية، فلا عجب أن نرىٰ أصحاب هذه البيوت يشكون من هذه الأمراض، ولذا كثرت في هذا العصر مع كثرة هذه الأجهزة المستشفيات النفسية وكثر أصحاب الرقية. فكم ينهال عليهم يومياً من هؤلاء، نسأل الله لهم الهداية والشفاء، هذا مع ما تسببه هذه الأجهزة من إفساد للأخلاق والعقيدة. فالواجب على رب الأسرة إبعاد هذه الوسائل المحرمة عن بيته وتطهيره منها وتحصين أهله من هذا الداء العضال.

٣ ـ السب والشتم والكلام الفاحش البذيء:

فإن الشياطين تحضر أماكن السب والشتم، قال تعالى: ﴿وَقُل

لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره هذه الآية**: «يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإذا لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع عن السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بيِّنه» [تفسير ابن كثير].

فينبغي للأب والأم أن يبتعدا عن السِباب والشتائم؛ لأن هذا لا يجوز، يقول ﷺ: **«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»** [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن]، ولأن فيه تربية للأبناء على السب والشتم.

ومما يجب كذلك: تحذير الأبناء ونهيهم عن ذلك، تطهيراً لألسنتهم وتحصيناً لبيوتهم وتأدباً بآداب الإسلام **«ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان...»**.

١٦ ـ تحصين البيت بالقرآن والأذكار والصلاة فيه:

إن لتلاوة القرآن أثراً عظيماً في تحصين البيت من الشياطين ودخول الملائكة المقربين ونزول الرحمة والسكينة والسعادة والراحة على أهل هذا البيت المبارك، وكذلك ذكر الله جل وعلا، فله من الآثار والفوائد العظيمة والأجور الكثيرة ما لا يمكن حصره

في هذا الكتيب المختصر، ولكن نحيل القارئ إلى كتاب قيِّم لابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو «الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب»، فقد ذكر رحمه الله أن في الذِكْر أكثر من مئة فائدة، وسَرَدَها، فراجعه فهو مفيد.

وإني أقتضب بعض الأدلة التي تبين آثار تلاوة القرآن والذكر على تحصين البيت من الشياطين والجن وما يحصل لأهل البيت من راحة وطمأنينة.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذي تُقرَأ فيه سورة البقرة»** [رواه مسلم].

* وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»** [متفق عليه]. قيل: كفتاه قيام الليل، وقيل: كفتاه من كل سوء ومكروه.

* وفي حديث أبي هريرة الطويل، وفي آخره قال له الشيطان: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وصدقه ﷺ وقال: **«أما إنه صدقك وهو كذوب، أتعلم مَن تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟ قلت: لا. قال: ذاك شيطان»** [رواه البخاري].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو**

على كل شيء قدير في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مئة حسنة ومحيت عنه مئة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «مَثَلُ البيت الذي يُذْكَر الله فيه والبيت الذي لا يُذْكَر الله فيه مثل الحي والميت» [رواه مسلم].

* وفي حديث الحارث الأشعري، وهو حديث طويل رواه الترمذي، قوله ﷺ: «وآمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى». قال ابن القيم رحمه الله تعالى معلِّقاً على ذلك: «فلو لم يكن في الذِكْر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة» [الوابل الصيب ص(٨٢)].

فاحذر الغفلة ـ عبد الله ـ عن ذكر الله، لا يفترسك الشيطان.

* وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه

قال: أدركتم المبيت والعشاء» [رواه مسلم].

* وعن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني، إذا دخلت على أهلك فسلِّم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح]. فعليك أخي المسلم بتحصين نفسك وتحصين بيتك من الشيطان بذكر الله عز وجل، والسلام على أهل بيتك تكن البركة عليك وعلى أهل بيتك.

وماأقل مَن يعمل بهذا، ولذا لا تسل عن بيت بات الشيطان فيه وتعشى مع ما يوجد من آلات اللهو والصد عن ذكر الله، وهذا ما يفسِّر لنا كثرة الشِجار في كثير من البيوت والخصومات بين الزوجين وحالات الطلاق، والشجار والعراك بين الأطفال والأبناء والبنات، والحالات النفسية والأمراض العصبية وتلبيس الجن والاكتئاب والقلق والاضطراب. هذا لا تفسير له إلا البُعد عن ذكر الله ووجود ما يصد عن الذكر ويجلب الشياطين. فإذا أردنا بيوتاً ملائكية تدخلها الملائكة وفيها الرحمة والطمأنينة والسكينة فلنحصنها بذكر الله وبتلاوة القرآن وبالصلاة فيها، أعني صلاة النافلة، يقول ﷺ: «إذا قضى أحدكم صلاته في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً» [رواه مسلم].

وفي صلاة النافلة في البيت فوائد منها: طرد الشيطان، وتعليم الأهل، وتعويد الأطفال على الصلاة، وحصول البركة، فإن الصلاة

فيها بركة عظيمة وغير ذلك من الفوائد.

١٧ ـ منعهم من اللعب والخروج إلى الشارع عند غروب الشمس:

والسبب في ذلك: أنه وقت انتشار الشياطين حيث يكثر خروجهم في الليل، وتكون بدايته عند غروب الشمس؛ لذا أمر الأهل بمنع الأطفال من الانتشار في تلك الساعة؛ حتى لا تضرهم الشياطين، وقليل مَن يعمل ذلك ويتنبه له.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشياطين لا تفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قِرَبِكم، واذكروا اسم الله، وخمِّروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرض عليها شيئاً، واطفئوا مصابيحكم» [رواه البخاري].

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لابد منها لسلامة البيوت من الشياطين والآفات:

١ ـ كف الصبيان عن اللعب عند غروب الشمس.

٢ ـ إغلاق الأبواب مع ذكر اسم الله يمنع دخول الشياطين، قال ابن دقيق العيد رحمه الله في الأمر بإغلاق الأبواب: «من المصالح الدينية والدنيوية حراسة للأنفس والأموال من أهل العبث والفساد لاسيما الشياطين» [فتح الباري (١١/ ١٠٤)].

٣ ـ إغلاق أفواه القِرَب وتغطية الأواني مع ذكر اسم الله يمنع من الآفات والحشرات والميكروبات والشياطين، ولو أن يعرض عليه شيئاً، وفي رواية للبخاري: «**ولو بعود يعرضه عليه**» قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيكون عرض العود علامة على التسمية فيمتنع الشيطان من الدنو منه» [الفتح (١٠/ ٩١)].

٤ ـ إطفاء المصابيح، ويقصد بتلك المصابيح القديمة التي كانت تشعل بالفتيل والزيت، وذلك خشية الاحتراق؛ لأنه علله في حديث آخر رواه البخاري بقوله: «**واطفئوا المصابيح، فإن الفويسقة ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت**» الفويسقة هي الفأرة، والشيطان هو الذي يحملها على ذلك، قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كانت العلة في إطفاء السراج الحذر من جر الفويسقة الفتيلة فمقتضاه أن السراج إذا كان على هيئة لا تصل إليها الفأرة لا يمنع من إيقاده» [الفتح (١١/ ١٠٣)].

وعلى ذلك فإن المصابيح الكهربائية ليست داخلة في النهي، وإنما يلحق بالأمر بإطفائه بعض المدفئات التي تكون قريبة من النائم خاصة الطفل، لكثرة حركته في النوم، فقد يتحرك الطفل أو يرمي عليها لحافه فتحترق. وكذلك مَن يدخل موقد الفحم إلى غرفة النوم وينام وهو عنده، فهذا خطره من جهتين. الأولى: الاحتراق، والثانية: الاختناق؛ لتولد غاز خانق وهو أول أكسيد الكربون لنفاذ غاز الأكسجين بالاحتراق مع الفحم

(الكربون) وكم من حوادث موت واختناق حصلت بأسباب ذلك.

وهذا الحديث يدل على كمال دين الإسلام وشموله لكل ما يصلح المسلم في دينه ودنياه.

* * *

المرحلة الثانية
من سن السابعة إلى الرابعة عشرة

وهذه السن هي أحسن وأخصب فترات التربية والتعليم وأنفعها للطفل بتوفيق الله، فهو طفل مميز يعقل ويدرك ويعرف مع أن فطرته لا تزال صافية نقية لم تهجم عليها الغرائز والشهوات بعد، ولم يعكر صفوها الخصام والنكد الذي يحصل لكثير من الشباب في مرحلة المراهقة. والتي سنتحدث عنها ـ إن شاء الله في المرحلة الثالثة ـ.

وهذه الفترة هي عمره الذهبي للتعلم خاصة الحفظ؛ لخلو قلبه من الشواغل والأفكار التي يفكر فيها المراهقون أو يفكر فيها أصحاب الأُسر والأعمال.

قال الشاعر:

والطفل يحفظ ما يلقى إليه — ولا ينساه إذ قلبه كالجوهر الصافي
فانقش على قلبه ما شئت من خبر — فسوف يأتي به من حفظه وافي

وقال آخر:

عود بنيك على الآداب في صغر — كيما تقر بهم عيناك في الكبر
فإنما مثل الآداب يجمعها — في عنفوان الصبى كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها — ولا يُخاف عليها حادث الغبرِ

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر» [سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٥)].

وقد حرص النبي ﷺ على تعليم صغار الصحابة وهم في هذه المرحلة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام، إني أعلِّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّت الصُحُف» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وصحَّحه الألباني]. هذا الحديث العظيم الذي قال فيه ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين» [جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٢)]، والذي علمه النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما وهو غلام لم يبلغ الحُلُم حيث أنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وقد علم النبي ﷺ الحسن دعاء القنوت، فعنه رضي الله عنه قال: «علَّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر...» الحديث، وعمره إذ ذاك أقل من عشر سنين قطعاً؛ لأنه رضي الله عنه وُلِدَ سنة ثلاث من الهجرة.

فعلى المربي مِن والِد ومعلِّم أن يحرص كل الحرص على

استغلال هذه الرحلة من العمر في التعليم والتربية، خاصة ما يحتاج إلى حفظ.

ومن الخطوات العملية التي يهتم بها في هذه الرحلة:

١ ـ الصــلاة:

قال ﷺ: «**مُروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع**» [حديث حسن رواه أبوداود].

فالواجب على المربي إذا بلغ الطفل سبع سنين أن يأمره بالصلاة ويرغبه فيها، ويبين له فضائلها وفوائدها وعقوبة تركها، وأن الذي لا يصلي كافر، ويغرس في قلبه حبها ورقابة الله عز وجل فيها حتى لا يصلي إذا حضر والده ويتركها إذا غاب الرقيب عنه، فإذا تربّى على حُب الصلاة ومراقبة الله جل وعلا نشأ طاهراً تقيًا صالحاً بإذن الله عز وجل؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وتصله بالله عز وجله كما قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩]، وقال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثِروا الدعاء**» [رواه مسلم].

والصلاة فيها الفلاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، فالمحافظ على الصلاة المهتم بها المراقب لله فيها لن يكون مدمن مخدرات، ولا من أهل

الفواحش والمنكرات بتوفيق الله جل وعلا، ومَن ضيَّع الصلاة أو لم يهتم بها، وإن صلَّى فالله جل وعلا يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥]، فهو لما سواها أضيع، فسوف يضيع دينه ودنياه، قال ﷺ: «**أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون منه الصلاة**» [رواه البيهقي في الشعب]، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام، فكل شيء ذهب آخره فقد ذهب جميعه، فتمسَّكوا رحمكم الله بآخر دينكم» [كتاب الصلاة للإمام أحمد].

فهل ترجو من ابن قَطَعَ صلته بالله براً أو صلاحاً أو نجاحاً في الدنيا أو الآخرة؟ كلا والله. ومن العجيب حقًّا أن بعض الآباء قد يهمل ولده في جانب الصلاة، فإذا سمع أنه مدخن أو مدمن فزع لذلك فزعاً عظيماً، وحق له ذلك، ولكن العجيب أنه لم يفزع مثل هذا الفزع أو أشد لما رأى تساهل ابنه في الصلاة، ونتيجة التربية القاصرة أن وقع الابن في ذلك؛ لأنه لم يُحَصَّن منذ نعومة أظفاره بالصلاة، وإنما تُرِكَ وأُهْمِلَ حتى إذا تفتقت غرائزه وشهواته واستولىٰ عليه قرناء السوء وُجد فارغاً ضائعاً، فوقع فيما وقع فيه، كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وهكذا وجدت الشهوات قلباً خالياً من حب الله وحب رسوله ﷺ، والخوف من الله ومراقبته قلباً لم يحصن يذكر الله وبالصلاة

فتمكنت الشهوات والمخدرات، والسبب يرجع إلى التربية الناقصة الفاشلة.

فالصلاة أيها الأب الكريم والأم الرحيمة من أعظم وسائل الصلاح والفلاح (**حي على الصلاة، حي على الفلاح**).

فإهمالها والتساهل فيها ضياع أيما ضياع للتربية، ولا تربية ولا صلاح بعد إضاعة الصلاة.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

٢ ـ تعليمه القرآن الكريم:

قال ﷺ: «**خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه**» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**» [مسلم]، فإذا أردنا الخيرية والرفعة لأبنائنا في الدنيا والآخرة فلنحرص على تعليمهم كتاب الله تلاوة وحفظاً وتدبُّراً وعملاً. خاصة في هذه المرحلة مرحلة الحفظ، فهي من أفضل مراحل العمر لحفظ كتاب الله عز وجل.

أخرج البخاري والحاكم في تاريخيهما، وأبونعيم والبيهقي وابن عدي وابن النجار، أنه ﷺ قال: «**مَن تعلَّم القرآن في شبيبته اختلط بلحمه ودمه، ومَن تعلَّمه في كبره فهو يتلفت منه وهو يعود فيه، فله أجره مرتين**». [من كتاب تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال لابن حجر الهيتمي الأنصاري رحمه الله ص(٣٣)].

وكثير من العلماء النابغين حفظوا القرآن قبل البلوغ، فقد حفظه الشافعي وهو ابن سبع سنين، وحفظه النووي وهو ابن عشر، وابن تيمية قبل البلوغ، وكذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وغيرهم كثير رحمهم الله جميعاً.

وقد حرص السلف الصالح رحمهم الله على حفظ القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه لأبنائهم.

عن عطاء بن السائب أن أبا عبدالرحمن السلمي قال: «أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلَّموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم» [سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٩)].

وعن مسلم بن مشكم قال: قال لي أبوالدرداء رضي الله عنه: اعدد من في مجلسنا، قال: فجاءوا ألفاً وستمائة ونيفاً، فكانوا يقرأون ويتسابقون عشرة عشرة، فإذا صلى الصبح انفتل وقرأ جزءاً فيحدقون به يسمعون ألفاظه» [سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٩)].

وقال الذهبي في ترجمة محمد بن النضر بن الأخرم المتوفى سنة ٣٤١: «وكانت له حلقة عظيمة بجامع دمشق يقرأون عليه من بعد الفجر إلى الظهر» [سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٦٥)].

وجاء في كتاب المعلمين لابن سحنون: «أن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته... قال عياض: فإذا

كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية ـ أسد بن الفرات ـ بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة» [من كتاب منهج التربية النبوية للطفل، للأستاذ/ محمد نور بن عبدالحفيظ سويد].

فهذه النصوص تدل على اهتمام السلف الصالح بتعلم القرآن وتعليمه لأبنائهم؛ لأنه هو الهدى والنور، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

فلا غرو بعد هذه النصوص وغيرها كثير جداً في فضائل القرآن الكريم وأوصافه العظيمة أن يتسابق أهل الإيمان إلى تعلم وحفظ القرآن وتعليمه لأبنائهم ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين: ٢٦]، فاحرص أيها الأب المبارك وأيتها الأم المباركة على تعليم الولد والبنت كتاب الله، وحثّهم على ذلك بالتشجيع والجوائز كلما حفظ جزءاً أو سورة أعطي جائزة ولو بسيطة، فقد كان السلف رحمهم الله يشجعون أبناءهم على طلب العلم وحفظه، ويعطونهم على ذلك جوائز، ذَكَرَ الخطيب في شرف أصحاب الحديث، قال: «روى النضر، قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: قال لي أبي: يا بني، اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثاً

وحفظته فلك درهم، فطلبت الحديث على هذا».

ومع الهدية نبيِّن لهم فضل طلب العلم، وحفظ القرآن والأجر العظيم في ذلك حتى لا يكون همهم الهدية والجائزة، وإنما تكون من باب التشجيع والحث ماداموا صغاراً ثم تصح نيَّاتهم إذا كانوا كباراً بإذن الله. وتُعمر قلوبهم بكتاب الله، يقول ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**» [رواه الترمذي].

والبيت الخرب تعيش فيه الحشرات وتلقى فيه القاذورات، ويكون مأوى للجن والشياطين، فكذلك القلب الخرب الخالي من القرآن تعيش فيه الشهوات ويُشرب حب الفواحش والمنكرات وإدمان المخدرات، ويقول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك...**» الحديث [رواه الترمذي]. ومَن حفظ القرآن وعمل به كان ممن حفظ الله فحفظه الله.

وإن مما يشجع الآباء على الحرص على تعليم أبنائهم القرآن وحفظه وكذا يشجع الأبناء والآباء والأمهات كذلك على الحرص على حفظ القرآن وتعلمه معرفة الفضائل والآثار والفوائد المترتبة على ذلك.

وأُذَكِّر القارئ الكريم ببعض تلك الفضائل والفوائد غير ما سبق:

عن سهل بن معاذ الجهني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءه**

أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا» [أخرجه أبوداود والحاكم، وقال: صحيح الإسناد].

فأي تشجيع للأب والابن أعظم من هذا، وإذا كان هذا الفضل يحصل للأب والأم، فماذا سيكون فضل مَن تعلَّم وجد واجتهد في حفظ القرآن وعمل به، نقف عند النص الذي يدل على عظم جزائه: «**فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟**».

توقع من الأجر حتى تنقطع بك التخيلات، فما تظنه جزاءً فما أعده الله أعظم مما تتخيل كما قال جل وعلا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

وإلى مَن فاته ركب الحفظ وكبر سنه، وأصبح القرآن يتفلت عليه، لا يفوتك أجر حفظ أبنائك فأبناؤك عمل صالح بعدك إذا صلحوا، كما جاء في الحديث: «**أو ولد صالح يدعو له**»، وقد سبق ذكره. ثم اعلم أيها الأب أن أعظم محاضن التربية وتخريج الرجال العلماء والأبطال والصالحين والأتقياء هي حلق العلم في بيوت الله عز وجل، وهي التي خرجت الجيل الأول الذي ما عرف التاريخ جيلاً أعظم ولا أفضل ولا أصلح منهم، ذلكم الجيل الفريد أصحاب محمد ﷺ ورضي الله عنهم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال الإمام مالك رحمه الله.

وحتى تعرف أثر حلق التحفيظ تأمَّل وتدبَّر هذا الحديث الشريف، قال ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون**

كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» [رواه مسلم].

فطلاب حلق تحفيظ القرآن الكريم الذين يجلسون كل عصر في بيوت الله عز وجل يحصلون على هذه الفوائد العظيمة التي لها آثار تربوية كبيرة. منها:

١ ـ نزول السكينة وهي الطمأنينة والراحة والسعادة التي فقدها كثير من الناس في هذا العصر، فما أكثر الذين يشكون من الأمراض العصبية والنفسية والقلق والاضطراب.

٢ ـ غشيان الرحمة ما أعظم هذه الفائدة وأجلها إنها رحمة أرحم الراحمين، ومَن منَّا في غِنىً عن رحمة ربه جل وعلا، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٤].

٣ ـ تحفهم الملائكة المقرَّبون العباد المكرمون، ومن حفَّتهم الملائكة سُعدوا في الدنيا والآخرة، «هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم»، بعكس أهل الطرب واللهو الذين تحفُّهم الشياطين.

٤ ـ يذكرهم الله فيمن عنده، فليسوا من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فهم يذكرون الله والله يذكرهم.

فشاب تحصل له هذه الفوائد يومياً كم سيكون لها من الآثار التربوية والنفسية مع ما يحصلون عليه من صحبة الصالحين ومحبتهم، وصلاة الملائكة لحديث «الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه. . . » [رواه البخاري]، ومغفرة الذنوب والأجر العظيم

بترديد الآيات والفوائد والآثار لحلق تحفيظ القرآن كثيرة وعظيمة، والمقام يقصر دون الحصر، والمقصود الإشارة، واللبيب بالإشارة يفهم.

وننبه أن بعض الآباء والأمهات لا يسجل ابنه في حلقات التحفيظ أو يفصله إذا بلغ المرحلة الثانوية والجامعية بحجة أنها تشغله عن المدرسة، وهذا من تلبيس إبليس ووسوسته ـ أعاذنا الله منه ـ وهذا قول باطل حيث **أثبت الواقع والتجارب والدراسات الإحصائية أن الطلاب المحافظين على حلقات التحفيظ هم من أجود الطلاب في الدراسة ومن المتفوقين، وسلوا الأساتذة والمربين، فعند جهينة الخبر اليقين.**

وقد ذكر الشيخ محمد الدويش في رسائل للشباب (٤) حفظ القرآن الكريم دراسة أجراها الدكتور سعد المغامسي يقول: «أظهرت نتائج الدراسة أن تلاوة القرآن الكريم وحفظه ودراسته أسهمت في تنمية مهارات القراءة والكتابة لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، من الحصول على درجات أعلى من متوسط أقرانهم في مدارس التعليم العام. . .» إلخ كلامه حفظه الله.

ثم قال: وفي دراسة أخرى أجرتها د. هانم باركندي، نتائج الدراسة «وجود فروق دالة إحصائياً بين مجموعات طالبات تحفيظ القرآن الكريم وطالبات الصف الرابع في المدارس العادية في

مهارتي القراءة والإملاء لصالح طالبات تحفيظ القرآن الكريم».

وهذه الدراسة وإن كانت مقارنة بين طلاب مدارس تحفيظ القرآن الكريم ومدارس التعليم العام، إلا أنها تدل على أثر القرآن الكريم على تنمية المهارات في القراءة والحفظ والفهم، ولا غرو فهو كتاب الله الميسر للذكر الذي تتدفق منهم سائر العلوم.

ولذا نجد السلف رحمهم الله أول ما يوجهون إليه أبناءهم حفظ القرآن، ثم ينطلقون منه إلى طلب سائر العلوم، فنبغوا.

قال الميموني: سألت أباعبدالله ـ أي أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: أيهما أحب إليك: أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن. قلت: أعلِّمه كله؟ قال: إلا أن يعسر عليه، فتعلمه منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولاً ـ آي القرآن ـ تعود القراءة، ثم لزمها، وعلى هذا أتباع الإمام أحمد إلى زماننا هذا» [الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٣٥)].

وذكر الذهبي في سيرة إمام الأئمة ابي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب التصانيف الصحيح والتوحيد وغيرهما، أنه قال: «استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة، ففعلت، فلما عيَّدنا أذن لي، فخرجت إلى مرو، وسمعت بمرو الروذ من محمد بن هشام صاحب هشيم فنُعي إلينا قتيبة» [سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧١)]، وعلى هذا سار السلف

رحمهم الله، وفي هذه البلاد الطيبة بلاد الحرمين حرسها الله تنتشر حلق تحفيظ القرآن الكريم، فلا يكاد يوجد حي إلا وفيه حلقة للبنين وأخرى للبنات، فلننتهز هذه الفرصة ولنشكر هذه النعمة بتسجيل الأبناء والبنات، بل لنحرص على ذلك جميعاً كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧].

٣ ـ اختيار المدرسة:

ينبغي للأب أن يحرص على حُسن اختيار المدرسة، فيختار الأجود لا الأقرب، ويسأل أهل التربية والتعليم الناصحين عن أفضل المدارس ذات الإدارة الجادَّة والأساتذة المستقيمين المعروفين بالنُصح والصلاح، وقد لا توجد مدرسة كل أساتذتها على درجة جيدة من الاستقامة، ولكن ننظر للأغلب ووجود أستاذ واحد ناصح مخلص حريص على مصلحة الطلبة وتوجيههم له تأثير عظيم على المدرسة وطلابها بل وأساتذتها، والمدرسة تأثيرها عظيم جدًّا على الطالب، فهو يقضي ربع يومه فيها، وهذا الربع هو أحسن فترات اليوم، حيث أنه وقت نشاط وجِد وتحمُّل وتقبُّل، أما ما يقضيه في المنزل فيتخلله النوم والأكل واللعب ـ مع عدم إهمال أثر المنزل ـ ولكن للمقارنة، فللمدرسة القدح المعلى. فلا تغفل أثرها.

ففيها يتعلَّم، وفيها يتربَّىٰ، وفيها يجد الصديق والجليس.

فكُن أيها الأب، وكوني أيتها الأُم على صلة بالمدرسة بالزيارة

أحياناً والمهاتفة أخرىٰ، والسؤال عن أحوال الابن والبنت عن الأخلاق والآداب قبل الدرجات، وعن الأصدقاء وهم الأهم، وعن الغياب والتأخر، فله أثره، فغياب يوم واحد أو تأخر دون علم الأبوين لهو مؤشِّر خَطر ومنعطف خَطِر في حياة الابن، وفي حياة البنت أشد وأنكىٰ، فلا نتساهل به، **وشارك في مجالس الآباء، وكذا الأم في مجالس الأمهات**، وفي الأنشطة العامة للمدرسة التي تتطلب حضور الأب ليشعر الابن أن والده مهتم به فيهتم.

حث الابن على المشاركة في الأنشطة اللاصفية، والجمعيات المدرسية وتوصية أحد الصلحاء من المدرسين على الابن لها أثر عظيم في تربيته، فالمدرس الناصح الأمين يدك الطولىٰ في تربية ابنك بل قد تعجز أو لا تستطيع، أو لا تحسن التربية، وهو بتوفيق الله ثم بفضل دراسته وممارسته للتربية والتعليم يعينه الله على ذلك. وسؤالك أيها الأب لأبنائك عن دراستهم وتقليب دفاترهم وخاصة دفتر الواجبات للاطلاع على مدىٰ أدائهم للواجبات واهتمامهم بالدراسة عمل مهم وضروري. **وفي الجملة**، فاهتمامك بدراسة ابنك وصلتك الوثيقة بمدرسته وأساتذته ودفاتره ومستوياته الدراسية من خير ما يُعين على صلاحه وتعليمه بإذن الله وتوفيقه.

٤ ـ تربيته على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ومراقبة الله عز وجل:

من أوجب الواجبات على الوالدين تربية الأبناء على طاعة الله

وطاعة رسوله ﷺ، وتعظيم أمر الله وأمر رسوله ﷺ، فيبيِّن الوالدان للولد أنه مخلوق ليعبد الله وحده، والعبادة تقتضي الطاعة التامة، فالعبد لابدَّ أن يكون مطيعاً لأمر سيِّده.

وأن معنى العبادة: كمال الذل لله في غاية المحبة، بمعنى أن يكون الولد خاضعاً منقاداً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، وهذا هو معنى الإسلام، فهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله وأن المؤمن أذن صاغية لله ولرسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور: ٥١].

وبيِّن له أن طاعة الرسول ﷺ سبب لدخول الجنة كما قال ﷺ: **«كل أمَّتي يدخلون الجنة إلا مَن أبىٰ، قيل: ومَن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبىٰ»** [رواه البخاري].

وأن مَن أطاع الله والرسول كان رفيقاً للأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين في الجنة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩].

وحذره من المعصية، وأنها سبب لدخول النار والحرمان من

الجنة، وأن أهل النار يوم القيامة يتمنون أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول ﷺ كما قال جلَّ وعلا: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

والآيات والأحاديث في وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ والتحذير من المعصية كثيرة جداً لا يمكن إحصاؤها، فعلىٰ الوالدين تربية الابن على الطاعة والاستسلام والانقياد لأمر الله جلَّ وعلا ولأمر رسوله ﷺ.

قال ﷺ: **«ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم في الله»**.

[رواه أحمد وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد].

وليكن الوالدان قدوة صالحة للابن في امتثالهما لأمر الله وأمر رسوله، والانتهاء عما نهى الله عنه ونهى عنه الرسول ﷺ.

٥ ـ تربيته على الأخلاق الفاضلة، والبُعد عن الأخلاق الرذيلة:

قد سبق ذِكْر شيء من ذلك في المرحلة الأولى في الفقرة الثانية عشرة، وهذا امتداد لها، وتأكيد عليها، وتوسع فيها، فالطفل في المرحلة الأولى يُعلَّم بعض الآداب البسيطة التي يدركها وربما يعملها تقليداً ومحاكاة، وفي هذه المرحلة وقد ازداد عقله وفهمه بعلم الآداب والأخلاق، ويأخذها قناعة وديانة.

فيجب على الوالد أن يكثف العملية التربوية في هذا السن، فيربي ابنه على الآداب الفاضلة والأخلاق الكريمة، ويحذره من

الأخلاق الرذيلة، وهذه أعظم هدية يهديها الوالد لولده يقول ﷺ: «**ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن**» [رواه أحمد وابن ماجه والبخاري في الأدب].

فيُعَلِّم الولد الصدق والأمانة والحلم والكرم والشجاعة وسلامة الصدر والقناعة وحب المؤمنين واحترام الكبار والعلماء والرحمة بالصغار والشفقة بالحيوان، وحب الصدقة وآداب الاستئذان حتى على والديه وتعلم البنت الستر والبُعد عن الرجال الأجانب حتى تتعوَّد على ذلك إذا كبرت، ويحذر من الأخلاق الرذيلة كالكذب والغش والحقد والحسد والاعتداء على الآخرين وكثرة الضحك والثرثرة في الكلام والتشدق فيه والسب والشتم والغيبة والنميمة والطمع والشره في الأكل والاهتمام به وشدة الاهتمام بالشخصية والهندام وكثرة النوم والخمول والكسل، والتشبه بالكفار وأهل الفسق والمجون، ونحو ذلك من الأخلاق الذميمة والمحرمة.

فإن عود الأخلاق الطيبة وأبعد عن الأخلاق الذميمة في هذا السن تعود وتربى عليها وتخلق بها بتوفيق الله عز وجل، وإن أهمل وترك تخلق بما يرى ويسمع من أخلاق ذميمة وعادات سيئة، فهو في هذا السن يقلد ويحاكي والإنسان بطبعه سراق الطباع، فإن وجد القدوة الحسنة اقتدى وإن وجد السيئة تأثَّر بها.

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ... على ما كان عوَّده أبوه

وأساس الأخلاق كلها ومنه تنبثق وإليه تعود، ذلك هو خُلُق الحياء الذي جاء في تعريفه: «**وحقيقة الحياء خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح**» [«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٣١)].

فهذا تعريف جامع لمكارم الأخلاق كلها، مانع من سيئها جميعاً.

فمَن تخلَّق به تخلَّق بمكارم الأخلاق وابتعد عن مساوئها، ومن عرى عنه عرى عن كل خير والعياذ بالله.

فلا عجب أن يتصف به سيد ولد آدم ﷺ صاحب الخُلُق العظيم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم: ٤]، فقد وصف ﷺ «**أنه أشد حياءً من العذراء في خدرها**» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**» [متفق عليه]، وفي رواية لمسلم: «**الحياء خير كله**»، أو «**الحياء كله خير**»، وقال ﷺ: «**الحياء والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفعَ الآخر**» [رواه الحاكم بإسناد على شرط الشيخين]، وقال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة مَن الإيمان**» [رواه مسلم]، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «... فهو من الإيمان بهذا، ولكونه ـ أي الحياء ـ باعثاً على أفعال البِر ومانعاً من المعاصي» [صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٥)]، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحياء أصل للأخلاق الكريمة كلها» [شرح الأربعين النووية ص(٩٤)]. وقال الأصمعي: «**سمعت أعرابياً يقول: مَن كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه**» [الآداب الشرعية

لابن مفلح (٢/٢٤١)].

فهذه النصوص وغيرها كثير في فضل الحياء وأنه أصل الأخلاق الكريمة والباعث عليها والمانع من الأخلاق الرذيلة، فيجب على الأبوين تربية الأبناء على هذا الخُلُق العظيم خُلُق سيد المرسلين، وخاصة البنات وهُن إليه أحوج حتى ينشأوا النشأة الصحيحة السليمة من الفواحش والمنكرات، فيتركوا ذلك حياءً فيتحول بعد ذلك ديانة.

قال الجراح بن عبدالله الحكمي: «تركت الذنوب حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الورع»، وقال بعضهم: «رأيت الذنوب نذالة فتركتها مروة فاستحالت ديانة»، ذكر ذلك ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم (١/٥٠١)، فالشاب إذا كان حيياً ترك ما يعاب من الذنوب حياءً فوقاه الله شرورها وأضرارها السيئة التي يصعب عليه التخلص منها عندما يكبر، فإذا كبر ورشد تركها ديانة وخوفاً من الله عز وجل.

وإذا لم يتصف بهذا الخُلُق فما الذي يمنعه من المعاصي والسيئات مع قلة الوازع الديني والخوف من الله عز وجل، قال ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» [رواه البخاري].

قال الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

ومن العجيب أن بعض الجهلة اليوم ينهى ابنه عن الحياء ويقول: «الحياء للبنت أنت رجل»، فسبحان الله! ألم يسمع أن النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، ألم يسمع أن الحياء خير كله، ونحو ذلك من النصوص في فضل الحياء وأثره؟! سمع النبي ﷺ رجلاً يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحيي، حتى كأنه يقول قد أضر بك، فقال ﷺ: **«دعه فإن الحياء من الإيمان»** [رواه البخاري].

قال ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: «قال ابن قتيبة: معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان، فسمى إيماناً» [فتح الباري (١/ ١٠٢)].

فيُقال لهذا الأب: دَعْ ابنك والحياء، بل ربِّه على الحياء ليمنعه من المعاصي والسيئات ومن الفواحش والمنكرات، يمنعه من التدخين ومن المسكرات والمخدرات، ويحمله على الأخلاق الكريمة الطيبة، يمنع البنت من التبرج والسفور، ومن الاختلاط بالرجال ومخاطبتهم، فتسلم ويسلم دينها وشرفها وعرضها، فما أحوجنا وأحوج أبناءنا وبناتنا إلى هذا الخُلُق العظيم خُلُق سيد المرسلين ﷺ.

٦ ـ حمايته من وسائل الفساد:

لا يخلو عصر ولا مصر من وسائل الفساد، ولكن الأعصار والأمصار تختلف قلة وكثرة، ولا شك أن هذا العصر قد بلغت فيه وسائل الفساد والانحراف ذروتها وتعددت وتنوَّعت ولم تقتصر على أماكن مخصوصة، بل إنها عمَّت وطمَّت حتى دخلت البيوت، بل غرف النوم، وهذا مما يزيد خطورتها، فالبنت المصونة في المنزل تدخل غرفة نومها وتفتح الشاشة وتنتقل من قناة إلى قناة، فتسمع وترى ما يبث في دول الكفر والفجور والانحلال من عُهر وفجور وتبرُّج وسفور، فتتحرك الغرائز وتفسد الأخلاق، بل في هذه القنوات ما يشكك في العقيدة والدين، والأب ربما يكون من الصالحين يغط في سبات عميق من النوم أو الغفلة، عن هذا ويظن أنه بقفل بابه على أبنائه وبناته قد حفظهم من الفساد وطرقه وهو يسري فيهم سريان النار في الهشيم.

هذا حال المصونة في المنزل، فما حال مَن كانت خارجه؟! فارحم اللهم فتيان وفتيات هذا العصر، فقد طوقهم الطوفان وتنوعت عليهم وسائل الشر والفساد، ومن هذه الوسائل:

١ ـ التلفاز والفديو والدش والإنترنت.

٢ ـ المجلات الهابطة ذات الأفكار الهدامة والصور الماجنة والكتب المشبوهة التي تدعو للبدع والانحراف العقدي والأخلاقي.

٣ ـ الشارع وقرناء السوء ومقاهي الإنترنت.
٤ ـ السيارة إذا لم يحسن استخدامها.
٥ ـ الاستراحات والشقق المفروشة ونحو ذلك.
٦ ـ الهاتف إذا أُسيء استعماله.

هذه بعض وسائل الفساد وكل واحدة منها تحتاج إلى سفر خاص وكاتب متخصص لبيان آثارها السيئة وأضرارها المدمِّرة، ومن ثم رسم لطريقة الخلاصة منها والسلامة من أخطارها وأضرارها.

ولكن مما لا يشك فيه عاقل فضلاً عن صاحب دين وغيرة أن لها آثاراً سيئة تعصف بفتيان الأمة وفتياتها بل برجالها ونسائها. وقد وصل ببعضها من السوء والانحراف ـ كالفضائيات ـ ما حذَّره وحذَّر منه بعض مفكري الغرب وعقلائهم ـ إن كان بقي فيهم عقلاء ـ فضلاً عن أهل الإسلام وعلمائهم، وهذه إشارة إلى هذه الوسائل وأضرارها معروفة معلومة، فالواجب على الآباء والأمهات والمربين والمربيات التنبه إلى هذه الأخطار والبحث عن السُبُل الكفيلة بتوفيق الله تعالى بحماية فلذات الأكباد من شرورها وأخطارها وذلك بأن نستفيد مما يمكن الاستفادة منه مع الحذر وتحذير الأبناء من أضرارها وأخطارها إذا أسيء استخدامها كالسيارة والهاتف ومراقبة ذلك وتوعية الأبناء بفوائدها ومضارها حتى يستفاد من الفوائد وتدرأ المضار بإذن الله، وتحذيرهم من قرناء السوء

وحفظهم عن الشوارع. أما السوائل الهدامة التي غلب شرها على خيرها كالفضائيات والمجلات الفاتنة ونحو ذلك فهذه يجب إنكارها وإبعادها عن البيوت حفظاً للبيوت من الشياطين» [راجع (٤٥/٢)] وتحصيناً للقلوب من الفتن، عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُعْرَض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشْربها نُكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض والآخر أسودُ مُرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه**» [رواه مسلم].

ففي هذا الحديث تحذير عظيم ـ لمن كان له قلب ـ من الفتن وبيان عاقبة أخذها والوقوع فيها أن يكون قلبه أسود مرياداً كالكأس والنكوس، وهذا حال من وقع في فتن هذا الزمان ومن أعظمها الفضائيات التي تنكت في قلوب من أشربها كل يوم وليلة من النكت السوداء فيصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه والعياذ بالله، وأما من ابتعد عنها وأنكرها في نفسه وأهله وحذر منها أسرته ومجتمعه. يصبح قلبه على أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، فما أجدرنا أن نتذكر هذا الحديث ونذكر به لنبتعد عن الفتن وننأى عنها وننكرها في أنفسنا وأسرنا ومجتمعاتنا، لعلَّ الله عز وجل أن يحفظنا وأسرنا

من شرورها وأضرارها.

٧ ـ اختيار الصديق:

مما لا شكَّ فيه أن للصديق أثراً بالغاً على صديقه سلباً وإيجاباً، ويكفينا في بيان ذلك قوله ﷺ: «**مَثَل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة**» [متفق عليه]، وقوله ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يُخالِل**» [رواه أبوداود]. هذا قول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحى، مبيّناً أثر الصديق على صديقه، وأنه متأثّر به لا محالة.

فعليك أيها الأب الكريم بالبحث عن صديق صالح وجليس ناصح لابنك قبل أن يختار هو، وقد يسيء الاختيار وهو الأغلب، فيتعلق بهم ويصعب بعد ذلك عليك فصله عنهم فتتأثر أخلاقه وتتغير طباعه، والقصص والشواهد أكثر من أن تُحصىٰ عن شباب نشأوا في بيئة طيبة وأسرة محافظة فاختلطوا بقرناء السوء بحجة الرحلة والنزهة والجلسة واللعب والتسلية أو المذاكرة ونحو ذلك.

واعلم أيها الأب أن ابنك لابد له من صديق؛ لأن الإنسان اجتماعي بطبعه كما يذكر ذلك علماء النفس والتربية وبالذات الشاب، فهو يميل إلى بني جنسه وأقرانه في السن، ويندر أن يبقىٰ

الشاب في البيت دون أن يكوّن علاقات وصداقات، فمادام الأمر كذلك فابدأ أنت بالبحث عن صديق ابنك قبل أن يبحث هو، واسأل الدعاة وطُلاب العلم والأساتذة في مدرسة ابنك عن الأصدقاء الصالحين من أعضاء الجمعيات الطلابية في المدارس ورواد المكتبات الخيرية ومن أهل حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد ونحو ذلك ممن يتوسم فيهم الخير والصلاح والمحافظة على صلاة الجماعة وحب طلب العلم، واسأل الله التوفيق.

ومع ذلك فلا تسلمه إليهم وترىٰ أنك برءت من الأمانة وخرجت من العهدة، بل راقِب سَيره معهم ولاحِظ أخلاقهم وتصرفاتهم وسل ابنك إذا ذهب معهم في رحلة أو قام بأي أنشطة معهم فإن رأيت الأمور على غير ما تريد فبإمكانك أن تحاول فصله عنهم والبحث له عمن هو خير منهم، وإن كانوا على ما توقعته من أخلاق طيبة ومنهج صحيح فاحمد الله على ذلك فهو خير معين لك على تربية ابنك، ففي هذا العصر من الصعوبة أن يربي الوالد ابنه في معزل عن الأصدقاء، فالفتن تحيط بالشباب من كل جانب، فإذا أُحيط بأصدقاء صالحين نشأ بتوفيق الله نشأة صالحة وأثّرت فيه التربية الصالحة، وإن نشأ بين أصدقاء سوء فأثر التربية عليه مهما كانت قليلة إن لم تكن عديمة، فكلمة من صديق سوء يمسح كل ما قال الوالدان؛ لأن هذا الصديق يخاطب العاطفة ويدغدغ الغرائز والشهوات، والأبوان والمربون يخاطبون العقل، وحفّت الجنة

بالمكاره والنار بالشهوات.

إذن أيها الأب، إذا وُفِّقت إلى أصدقاء صالحين لابنك فعض عليهم بالنواجذ وشجِّع ابنك على السير معهم وأكرمهم وبش في وجوههم ولا تبخل على ابنك فيما طلب من أجل السير معهم حتى يحبهم ويستمر معهم، ولا تنس الدعاء لهم، فلهم عليك الفضل والمِنة بعد الله عز وجل.

ونتبه إلى أمر مهم، وهو أن بعض الآباء إذا رأى ابنه يسير مع ابن عمه أو عمته أو خاله أو خالته اطمأن إلى ذلك دون أن يعرف ما أخلاق هذا الابن، فهذا خطأ، فكم من شاب أضلَّه ابن عمه أو ابن خاله، بل قد يضله أخوه.

وبعض الآباء يوصي ابنه أن يسير مع فلان؛ لأن أباه من الصالحين، ولكنه لا يدري هل ابنه من الصالحين أم لا؟ فليس كل صالح مستقيم أبناؤه صالحون، فهذا نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنه كافر، فلا تغتر بابن العم والخال والجار الصالح، ولكن انظر إلى الابن نفسه هل صالح أم لا؟

أما البنت، فهي كذلك تتأثر بالصديقات ولكن أمرها أخف من الولد، حيث يمكن قرارها في البيت كما قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهذا الذي يجب أن تربىٰ عليه طاعة لله ورسوله ﷺ وتشغل بأعمال المنزل والقراءة وسماع الأشرطة النافعة المفيدة، وإن كان لابد من صديقة

فليكن على أقل ما يمكن من الصديقات الخيرات اللائي يدرسن في الدور النسائية لتحفيظ القرآن الكريم ومن الأسر المحافظة، وعلى الأم زيارة مدرسة البنت لتتعرف على زميلاتها وتسأل المدرسات الخيِّرات عن الطالبات الصالحات ليكن صديقات لابنتها. وتسأل الله التوفيق في ذلك.

* * *

المرحلة الثالثة
من سن الرابعة عشرة إلى الحادية والعشرين

في هذا السن أو قبله بقليل الذي يسمى مرحلة المراهقة، وهي مرحلة البلوغ تطرأ على الشاب تغيرات نفسية وجسمية وعقلية وجنسية يبدأ معها المراهق يشعر أنه رجل، وأن له شخصيته ورأيه وحريته ولا يريد أن يكون لأحد عليه سلطة، فيحاول إظهار ذلك وإبرازه للآخرين والتعبير عنه ولو على حساب مصلحته ومستقبله وربما بتصرفات خاطئة ليظهر للآخرين أنه رجل، وهذه ـ كما يسميها علماء النفس ـ البحث عن الشخصية أو الهوية، ومن مظاهر ذلك:

١ ـ محاولة التخلص من سلطة الوالدين عليه، فلا يعبأ باستئذان الوالدين أو مشورتهما في أموره؛ لأنه يرى في ذلك غضاً من شخصيته وهضماً لها.

٢ ـ الخروج من البيت والبقاء أكثر الوقت خارجه.

٣ ـ تكوين صداقات وعلاقات مع زملائه.

٤ ـ الاهتمام بالشخصية والهندام.

٥ ـ العناد ومخالفة الآخرين ولو علم أن الحق معهم وعدم التنازل عن الرأي.

٦ ـ السيطرة على إخوانه الصغار.

٧ ـ الجنوح إلى بعض العادات السيئة والمحرمة كالتدخين والتفحيط والسلوك العدواني والمعاكسات ونحو ذلك، ليشعر الآخرين وليشعر هو بنفسه وشخصيته.

فهو في هذه المرحلة لم يعد طفلاً له اهتمامات الأطفال، وفي نفس الوقت ليس رجلاً راشداً.

ولا يلزم أن توجد هذه المظاهر أو بعضها في كل مراهق إلا لمن لم تُحسن تربيته، فالمراهقة لا تعني الطيش والصلف لدى المراهق، وأنها نتيجة حتمية لهذه المرحلة وهذه التغيرات البيولوجية، وإنما هي نتيجة إهمال التربية وعدم التعامل مع هذه المرحلة بالطريقة الصحيحة.

ذكر الدكتور إبراهيم بن حمود المشيقح في كتابه (المراهقة) (ص١٠) قوله: «أظهرت الدراسات والبحوث العلمية ما يعارض الفكرة التي ترى أن مرحلة المراهقة مرحلة زوابع وعواصف نفسية، أو بمعنى آخر أن الاضطرابات النفسية التي تلاحظها على المراهق إنما هي نتيجة طبيعية لما يمر به من تحولات بيولوجية، وهي مرحلة نفسية لها خصائصها العامة على جميع أفراد الإنسان أينما كانوا يعيشون، والواقع أن هذه الفكرة عن المراهقة غير سليمة، فقد ظهر ما يعارضها بشكل واضح، وهو الرأي السائد الآن والذي يرى أن مشكلات المراهقة إن وجدت فإنها تكون في الواقع راجعة

إلى الظروف الثقافية والاجتماعية والتنشئة التي كان يعيشها الفرد وليس إلى مجرد تطوره البيولوجي».

وهذه نظرية صحيحة عن المراهقة، فقد بيّن النبي ﷺ أن من الشباب من لم يكن له صبوة أي ميل إلى الهوى واللعب، ففي الحديث: «**يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة**» [رواه الإمام أحمد والهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: إسناده حسن]. وذكر ﷺ أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**... وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل...**» الحديث [متفق عليه].

وهكذا كان شباب الصحابة رضي الله عنهم في فترة المراهقة يتسابقون إلى الجهاد وإلى طلب العلم والدعوة إلى الله عز وجل، وكذلك حال كثير من شباب التابعين ومن تبعهم بإحسان، ونقرأ في سير العلماء والأئمة أنهم منذ نعومة أظفارهم وهم جادون في طلب العلم، ما مروا بما يمر به كثير من شباب المسلمين اليوم من أعمال وتصرفات يندىٰ لها الجبين وتحزن كل غيور على الأمة وشبابها، ونبرر ذلك بالمراهقة ولكنها التربية الخاطئة التي لم تحسن التعامل مع هذه المرحلة الحساسة من حياة الشباب، ولذا لابد للآباء والمربين من التفطن لهذه المرحلة وحساسيتها والاهتمام بها.

الخطوات العملية في هذه المرحلة:

١ ـ إشعار الشاب أنه رجل وتقديره واحترامه ورفع مستوى التعامل معه على أنه رجل؛ ليشعر بذلك وأن الآخرين ينظرون إليه

أنه رجل، فليس بحاجة أن يعبِّر عن رجولته للآخرين بالتفحيط والتدخين أو غيره مما يسلكه أقرانه ليُشعر الناس أنه رجل. عن سهل بن سعد «أن رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام ـ وفي رواية: أصغر القوم ـ وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام أتأذن لي أن أعطي هؤلاء، فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً فتلَّه رسول الله ﷺ في يده» [متفق عليه]، فهذا النبي ﷺ يستأذن هذا الغلام ويشعره بمكانته وأهميته ولا يهدر حقه في الشرب أولاً، فكم لهذه النظرة لهذا الغلام من أثر في نفسيته وشخصيته ونشأته وبهذه التربية، أصبح هذا الغلام بعد توفيق الله له وهو ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن فرفع نفسه بهذه النظرة من رسول الله ﷺ إلى مستوى الأشياخ، وقد ورد أنهما أبابكر وعمر رضي الله عنهما.

٢ ـ إعطاؤه شيئاً من الحرية المنضبطة.

٣ ـ احترام رأيه ومشورته وإتاحة الفرصة له في التعبير عن رأيه وقبوله ولو لم يكن صائباً إذا لم يكن فيه محظور شرعي.

٤ ـ تعليمه أحكام الاحتلام والغسل وموجباته، وكذا البنت تُعَلَّم أحكام الحيض وتتولىٰ ذلك أمها أو أختها.

وإن كان قد درس ذلك في المدرسة لكنه مرَّ عليه بسلام، إما أنه لم يكن بالغاً في ذلك الوقت فلم يفهم أو لم ينتبه ونحو ذلك، فلا يوكل إلى هذه الدراسة، وهذا من واجبات الأبناء على الآباء

والأمهات ولا يمنع من ذلك الحياء، فالله لا يستحيي من الحق.

٥ ـ حثه على طلب العلم وحضور الحلقات العلمية والمحاضرات والدورات العلمية وزيارة العلماء وطلاب العلم ومرافقة الصالحين، والبنت تحث على سماع الأشرطة العلمية والمحاضرات المفيدة.

٦ ـ تحبيبه للقراءة خاصة سير الأنبياء والصحابة والعلماء والأبطال، فهو في هذه المرحلة يحب التقليد والمحاكاة، فليقتد بهؤلاء ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٧ ـ التنازل له عن بعض الأمور التي يمكن التنازل عنها، والتغاضي عن بعض التصرفات التي يُرجى أن تزول بتخطي هذه المرحلة الصعبة من عمر الشاب ـ وهذا فيما يمكن التغاضي عنه وعدم كثرة التعنيف والعتاب.

٨ ـ إشغال وقته وإسناد بعض الأمور إليه، كشراء بعض الأغراض المنزلية، وملاحظة إخوانه الذين هم أصغر منه، وقضاء حوائجهم، وأخذ الوالد له في بعض أعماله وزياراته لأقاربه، وحضور دوريات الأسرة والجيران، وتوجيهه إلى المشاركة في الأعمال الخيرية مثل المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد أو المبرّات الخيرية ونحو ذلك مما يشغل وقته ويفيده، فالنفس كما يقول ابن تيمية رحمه الله: «إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية»، والفراغ قاتل للشباب.

إن الفــراغ والشبــاب والجـدة مفســدة للمــرء أي مفســدة

وكذلك البنت تُشْغَل في الأعمال المنزلية لتتعوَّد وتتدرب على الأعمال المنزلية لتكون بعد ذلك ـ بعد الزواج ـ قادرة على إدارة بيتها، فبعض الفتيات المدللات تحرج بعد الزواج بأنها لا تعرف الأعمال المنزلية وربما يكون ذلك سبباً في فشل الزواج.

٩ ـ في حالة فشله في الدراسة وتكرر رسوبه لا يُقصر عليها قصراً فيظل في المدرسة لتقضية الوقت فقط فيضيع وقتاً من عمره دون فائدة، بل ربما سبب ذلك مشاكل عليه وعلى زملائه فيكون مصدر إزعاج في فصله ومدرسته ويتعلَّم الأخلاق السيئة ويتشاجر مع أساتذته ويصادق قرناء السوء ويتعود البطالة واللامبالاة؛ لأنه لا يهتم بدروسه ولا واجباته، ولا يصغي إلى شرح أستاذ ولا يبالي بنصيحة معلِّم، وهكذا يظل حتى تكثر مشاكله، فيُطْرَد من المدرسة وقد اكتسب تلك الآثار، فلا يصلح لعمل ولا مهنة، فالأولىٰ بالأب تشجيع أبنائه على الدراسة بكل ما يستطيع فهي خير لهم، فإذا علم أن الابن لا يمكنه مواصلة الدراسة وتكرر رسوبه فيمكنه التشاور مع أعضاء هيئة التدريس في المدرسة وبالذات المرشد الطلابي فهم أعرف بمقدرة ابنه على الدراسة منه، فإذا أخبروه أن ابنه لا يصلح للدراسة فليست الدراسة كل شيء ولا من فشل في الدراسة فشل في حياته كلها ـ وإن كانت الدراسة أفضل سبيل ـ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وكل أب يود أن ابنه يكون عالماً وبالذات طلبة

العلم والدعاة، كل يتمنى أن يكون أبناؤه من العلماء الراسخين في العلم ولكن العلم لا يؤخذ بالوراثة ولا بالتمني وليس كل عالم ابنه عالم فالأمر إلى الله عز وجل فليرض هذا الأب الكريم بما قسم الله له ولا يقحم ابنه فيما لا يستطيعه وليبحث له عن عمل يستطيعه وينتج فيه كما قال الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

فاعرف قدرات ابنك واتجاهاته وميوله والأب من أعرف الناس بابنه، قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فحاول استثمار هذه الميول إلى ما يفيد الابن في أمور دينه ودنياه، فكون الابن يوجه إلى عمل مهني أو وظيفي أو تجاري ونحو ذلك أفضل من أن يبقى في المدرسة حتى يُفصل منها، فيشعر بالفشل والإحباط فيؤثر ذلك على مجريات حياته كلها، قال ابن القيم رحمه الله: «فإنه ـ أي الصبي ـ إن حمل على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه، وفاته ما هو مهيأ له» [تحفة المودود بأحكام المولود ص٢٤٢].

١٠ ـ اكتشاف ما عنده من مواهب وقدرات عقلية وجسمية وتوجيهها الوجهة الصحيحة، كموهبة الشعر أو الخط أو القراءة أو الرياضة ونحو ذلك من المواهب، قال ابن القيم رحمه الله: «فإذا رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعياً فهذه من علامات قبوله وتهيؤه للعلم لينقشه في لوح قلبه مادام خالياً، فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد

للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وإنه لا نفاذ له في العلم ولم يخلق له مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها، فإنه أنفع له وللمسلمين وإن رآه بخلاف ذلك وأنه لم يخلق له ورأى عينه مفتحة إلى صنعة من الصنائع مستعداً لها قابلاً لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها. هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه» [تحفة المودود بأحكام المولود ص٢٤٢].

١١ ـ تعويده على الاستشارة والاستئذان من والديه عندما يريد سفراً أو الذهاب إلى رحلة أو عمل أي عمل من الأمور المهمة، فيستأذن والديه ويستشيرهما، ولعلَّ الوالد أن يضرب له أمثلة من نفسه في استئذان والديه مع أنه رجل ورب أسرة وأن ذلك لا ينقص قدره بل يزيده قدراً فالابن لا يستغني عن والديه مهما كبر وتعلم.

١٢ ـ تعليمه الاستئذان عندما يريد الدخول على والديه أو أحدهما في غرفته الخاصة، فلقد أمرنا الله بذلك في قوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [النور: ٥٩].

١٣ ـ ملاحظة أصدقائه ومَن يزورونه ومَن يزورهم ويذهب معهم، وما أجمل بالأب أن يتولى بنفسه فتح الباب عندما يُطرق، ولا يكل ذلك إلى الأولاد حتى يتعرف على أصدقاء أبنائه، ويلاحظ

كذلك محفظته وحقيبته وغرفته الخاصة؛ لأن الشباب في هذا السن قد يحملون معهم الصور والرسائل الغرامية وعلب التدخين وأشرطة الغناء ونحو ذلك مما يؤثر على أخلاقهم وسلوكهم، ولكن تكون هذه الملاحظة بحذر شديد وبطريق غير مباشر لا يفطن له الولد حتى لا يفقد ثقة والديه. وإذا وجد الوالد ما لا يحمد فليعالجه بالحكمة، وإن استشار في ذلك أهل التربية فهذا أدعى لنجاح علاجه ـ بإذن الله ـ.

١٤ ـ ملاحظة أن لا ينام وحده في غرفة منفصلة، والأفضل أن ينام مع إخوانه وفي غرفة مفتوحة قريبة من غرفة الأبوين، وعلى الوالدين الدخول على الأبناء في غرفهم الخاصة بين وقت وآخر خاصة وقت النوم، وبطريقة لا يشعر الأبناء أنها من باب المراقبة، ولا يسمح للولد بالنوم عارياً أو نصف عارٍ لأنه في فترة المراهقة وهي مرحلة حساسة حرجة.

١٥ ـ الحذر من خروج الأسرة والولد في المنزل لوحده، وإن كان في المنزل خادمة فالأمر أدهىٰ وأَمَرّ، فكم حصلت من المآسي بسبب ترك الابن في المنزل وحده أو مع الخادمة. فمن ابتلي بالخادمة فعليه أن تكون ملاحظته لأبنائه أشد، فيلاحظ الابن في عدم مخاطبتها وعدم الخلوة بها سواءً في المنزل أو في أي ركن من أركانه بعيداً عن نظر الأسرة حفاظاً على هذا الابن أن يقع في شرك الرذيلة فيصعب بعد ذلك تربيته وتقويمه، وكذلك تلاحظ البنت مع

السائق فخطر السائق لا يقل عن خطر الخادمة بل هو أشد.

١٦ ـ عدم السماح للابن بالسهر خارج المنزل، فالسهر أخطاره وأضراره كثيرة، فعن طريقه يختلط بقرناء السوء ويتربى على الأخلاق السيئة، ولو لم يكن فيه إلا تعويده على النوم في النهار والكسل لكان هذا كافياً في المنع سيما أنه يحصل به الإثم العظيم في تضييع الصلوات خاصة صلاة الفجر وكفى به إثماً مبيناً.

١٧ ـ حثّه على المشاركة في الأعمال الخيرية، مثل المكاتب التعاونية للدعوة و الإرشاد وتوعية الجاليات، والمبرات الخيرية وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، وأنشطة جماعة المسجد ونحو ذلك، حيث يقضي فراغه فيما يعود عليه بالفائدة ويتدرَّب على أعمال الخير والاحتساب ويسلم من آثار الفرغ التي تعود على الكثيرين خاصة الشباب بالغبن والخسارة كما قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفرغ**» [رواه البخاري].

١٨ ـ إن كان على جانب من الصلاح ويحفظ شيئاً من القرآن ويُحسِن التلاوة فما أجمل أن تبحث له عن إمامة مسجد أو مئذنة، فإن هذا له أثر كبير على استقامته بإذن الله ويشجعه على حفظ القرآن وتحمُّل المسؤولية.

١٩ ـ إذا رغب الابن في الزواج واستطاع والده تزويجه فإن هذا من حق الابن على أبيه أن يبحث له عن الزوجة الصالحة ويعينه على الزواج؛ لقوله ﷺ: «**يا معشر الشباب، مَن استطاع منكم الباءة**

فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء» [متفق عليه].

وكذلك البنت إذا تقدَّم لها الكفء وهو الصالح في دينه وأخلاقه وأمانته؛ لقوله ﷺ: «إذا أتاكم مَن ترضون دينه وخُلُقه فزوِّجوه، إن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» [رواه الترمذي وابن ماجه].

بل إنه يشرع لولي المرأة عرضها على الرجل الصالح كما عرض شعيب ابنته على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ... ﴾ الآية [القصص: ٢٧].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه مشروعية عرض ولي المرأة لها على الرجل، وهذه سُنَّة ثابتة في الإسلام» [فتح القدير ٤/١٦٩].

وكما عرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان بن عفان وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم كما ثبت ذلك في «صحيح البخاري» (٩/ ٢١٩).

وكما عرض سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ ابنته على تلميذه كثير بن أبي وداعة وزوجه على درهمين أو ثلاثة، كما ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٣٣).

والأمثلة كثيرة في هذا، وكما قال الشوكاني: «وهذه سنة ثابتة في الإسلام».

وللزواج المبكر فوائد كثيرة على سلوك الابن والبنت، فليُبادَر

إلى ذلك ولا يؤخر بحجة الدراسة، فقد ثبت أن الزواج خير معين بعد الله على الدراسة والتفوق العلمي وبالذات الفتاة، فإن أمرها ليس بيدها وفرصتها في الزواج تفوت عليها، فقد يرغب إليها الخُطَّاب قبل التخرج من الدراسة لحداثة سنها فتمتنع بحجة الدراسة فإذا تخرجت عزف عنها الكثير وفاتَها ما كانت تحلم به، فلنمتثل قول المصطفى ﷺ: «**إذا أتاكم مَن ترضون دينه وخُلُقه فزوِّجوه. . .**» ولتشترط مَن كانت ترغب في مواصلة الدراسة إكمال دراستها ولها ما اشترطت.

* * *

الوسائل والأساليب المعينة على تحقيق التربية السليمة

التربية ليست كلمة تُقال ولا موعظة تُلقىٰ ولا محاضرة تنظم أو شريطاً يسمع أو كتاباً يُقرأ وينتهي دور المربي عند هذا الحد ويفهم المربى ما يراد منه ويعقله، فلو كانت كذلك لكانت سهلة ميسرة ولكنها أوسع من ذلك وأشمل، إن ميدان التربية الصحيحة هو الحياة كلها بوقائعها وأحداثها وأفراحها وأحزانها في الحضر والسفر والصحة والمرض وكل لحظة فهي من ميادينها الرحبة الواسعة، يجد فيها المربي اللبيب مادته التربوية لأنه يتعامل مع نفس متغيرة وقلب متقلب ومؤثرات ومعوقات.

الشيطان والدنيا ونفسي والهوى   كيف الخلاص وكلها أعدائي

فإن اقتصرت التربية على الأساليب المباشرة من الأوامر والنواهي المصدرة بأفعل ولا تفعل، فهذا من قصورها. والمتأمل في سيرة المصطفى ﷺ وهو أحسن معلم وأفضل مربٍّ ﷺ كما قال عنه معاوية بن الحكم رضي الله عنه: «فبأبي وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه...» [رواه مسلم]، يرى أن تربيته ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم لم تقتصر على الكلام المباشر والموعظة

البليغة ـ وهو أبلغ وأفصح مَن نطق بالضاد ـ بل شملت جميع الحالات والمواقف في المسجد والسوق والحضر والسفر والسلم والحرب والنصر والهزيمة والحزن والفرح بل الخطأ والصواب والطاعة والمعصية بأساليب متعددة بالتصريح تارة والتلميح أخرى بالموعظة البليغة والقصة الهادفة والسؤال الذي يشحذ الأذهان وينبِّه الغافل والمثل الذي يقرب المقصود بالتطبيق العملي وهو الغالب على تعليمه ﷺ فهو القائل: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» [البخاري]، «**من توضَّأ نحو وضوئي هذا**» [البخاري ومسلم]، «**خذوا عني مناسككم**» [مسلم].

أما مجال الاقتداء فهو القدوة الحسنة ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾ الآية [الأحزاب: ٢١].

ولذا أثرت هذه التربية وأخرجت ـ بإذن الله ـ جيلاً فريداً لم يأت قبله ولن يأت بعده مثله رضي الله عنهم وأرضاهم. قال ﷺ: «**خير أُمَّتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» قال عمران: فلا أدري أَذَكَرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً... الحديث [رواه البخاري].

فينبغي للمعلم والمربي الاقتداء به ﷺ ودراسة سيرته ليأخذ منها الدروس والعِبَر فوسائل التربية متنوعة وأساليبها متعددة فهي الحياة كلها.

وإليك بعض هذه الوسائل والأساليب التي نسأل الله أن ينفع بها، وما توفيقي إلا بالله.

١ ـ الوعظ المباشر:

الوعظ له أثره في النفوس إذا أحسن، قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وها هو لقمان الحكيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يعظ ابنه كما ذكر الله عنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣ ﴾ [لقمان: ١٣].

وقد كان ﷺ يعظ أصحابه، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**» [رواه أبوداود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح]، ولكن للموعظة آداب منها: أن لا تكون طويلة مملَّة ولا قصيرة مخلَّة وأن يراعي فيها مناسبة الوقت والمكان والحالة وأن يقدم الأهم فالمهم ولا تكون متشعبة وإنما تكون في موضوع واحداً أو اثنين على الأكثر وهذا حسب ما يقتضيه الحال، لكن كثرة المواضيع في الموعظة تشتت ذهن السامع وإن كانت الموعظة سرًّا بينك وبين ابنك فهذا أفضل خاصة إذا كنت ستذكر بعض عيوبه، فالواجب أن تكون سرًّا؛ لأن العلانية في هذا فضيحة له، وقد يكابر

ويعاند ولا يتقبل منك، قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعهدني بنصحك في انفرادي وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس ضرب من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت أمري فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

وأقبل عليه في الموعظة ولا تنشغل بشيء كالهاتف مثلاً، فهذا يشتت عليه ويصعب عليه متابعة ما قلت له.

وضع يدك على كتفه أو أمسك بكفه فهذا أحرى أن يكون معك، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»** [رواه البخاري]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «علمني رسول الله ﷺ التشهد كفي بين كفيه كما يعلمني السورة من القرآن» [رواه البخاري].

ويأتي بالكلمات الطيبة: يا بني، يا حبيبي، إني أحبك، إني مشفق عليك، قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: **«يا معاذ، والله إني أحبك، ثم أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»** [رواه أبوداود والنسائي].

وليثني عليه ويمدحه بما هو فيه من الخير كما قال ﷺ، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: **«نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل»** [متفق عليه].

ولا تكثر من الموعظة وتكون هي جل تربيتك لأبنائك، بل أقلل منها وتخولهم بالموعظة كما كان ﷺ يتخول أصحابه مخافة

السآمة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة كراهة السآمة علينا» [متفق عليه]، فإذا كان المصطفى ﷺ يخاف على أصحابه من السآمة وهو من هو ﷺ؟! وهم من هم؟! فغيرهم من باب أولىٰ.

٢ ـ القصص:

لقد شغلت القصص حيزاً كبيراً في كتاب الله عز وجل، وكذلك في سنة رسوله ﷺ، وذلك لما فيها من الدروس والعِبَر والعظات، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ الآية [يوسف: ١١١].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ...﴾ [هود: ١٢٠]، والناس يحبون القصص ويصغون إلى سماعها ويتأثرون بها، فينبغي للمربي أن يستفيد من قصص القرآن والسنة ويُكثِر من عرض ذلك على أبنائه وكذلك سير الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان من العلماء والأبطال، وكذلك من قصص الواقع مما فيه فائدة ويعرضها بأسلوب سهل مناسب لعقولهم وتفكيرهم، ويُعَلِّق على القصة ويطلب منهم ذِكْر الفوائد حتى يحسنوا الإنصات ويتعوَّدوا التفكير والاستنتاج. وليتجنب القصص الخيالية وغير الواقعية أو القصص المكذوبة فهذا من باب الكذب وهو محرَّم، ثم إنه يعوِّد الأبناء على الكذب واختلاق القصص ومن ثَمَّ تكون التربية على شفا جرفٍ هارٍ، وفي

الحديث: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل يصدق حتى يُكْتَب عند الله صِدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» [متفق عليه].

وكتب القصص كثيرة جداً ومنها: قصص الأنبياء لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، تهذيب السيرة لعبدالسلام هارون، صور من حياة الصحابة للدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا، صحيح القصص النبوي لأبي إسحاق الحويني. ذكر فيه خمسين قصة ثابتة عن النبي ﷺ أغلبها في الصحيحين.

٣ ـ الوقائع والأحداث:

الدنيا مليئة بالعِبَر والعِظات ولكن القليل هم الذين يفكِّرون ويعتبرون، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥]، فعند المصيبة عوِّده الصبر، وعند الفرح والنعمة علِّمه الشكر وذكِّره الجنة وما فيها من نعيم، وعندما يرى أو يسمع بأحد من أقاربه أنه مات ذكِّره الموت وما بعده من بعث وجنة أو نار، وذكره الاستعداد له، فما أتى قريبه سيأتيه، واجعل السفر دورة تدريبية وتربوية على التحمل والمسؤولية فوض إليه بعض المهام ليقوم بها وعلق على ما تراه في طريقك من مشاهد وأحداث، استغل مدة الطريق في سماع الأشرطة المفيدة والمسابقات الهادفة مع شيء من المرح المباح، فالسفر

عناء ويحتاج إلى ما يقطعه بالمزاح المباح، إذا رأيت منه خُلُقاً حسناً، وفعلاً طيباً فشجِّعه على ذلك وعزِّز هذا السلوك في نفسه، وعندما ترىٰ عليه خُلُقاً سيئاً أو فعلاً قبيحاً فبادر بعلاجه بالتي هي أحسن، واذكر العواقب الوخيمة لو استمر على ذلك، اثنِ على أهل الخير والصلاح والشباب الصالحين ليقتدِ بهم، اربطه بواقع أمته وما تعيشه من آلام ومشاكل كثيرة في هذا العصر وبيِّن له أسباب ذلك وطريق الخلاص.

والكلام في هذا يطول؛ لأنه الحياة كلها واللبيب العاقل يعرف ذلك ويحسنه ويعرف من أين تؤتىٰ الكتف.

٤ ـ التطبيق العملي:

ما أجمل العلم وأسرع فهمه وثباته في النفس إذا كان عن طريق التطبيق العملي، فتوضأ أمامه وصلِّ وهو يراك، وإذا أردت تعليمه آداب الطعام فليكن ذلك أثناء الطعام وعلى المائدة، وما أجمل بالأب أن يأكل مع أبنائه الصغار والكبار فيعلمهم آداب الطعام، فلقد علَّم النبي ﷺ عمر بن أبي سلمة آداب الطعام وهو على المائدة، قال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: كنت غلاماً في حجر النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سَمِّ الله، وكُل بيمينك، وكل مما يليك**»، قال: فمازالت تلك طعمتي. [متفق عليه].

وجلسة الطعام جلسة تربوية غير مباشرة، فالأب يأكل بيمينه

ويسم الله والأولاد يقتدون به، فلابد من الأكل مع الأسرة ولو وجبة واحدة في اليوم. وتعليمهم آداب النوم، يكون ذلك داخل غرفة النوم بل على سرير النوم. وتعليم أحكام وآداب الصيام عند قرب رمضان، وهكذا تعليم كل أمر في وقته ومناسبته، فذاك أدعىٰ لفهمه وإدراكه، ويكون ذلك بالتكرار حتى يعقل المتربي ذلك ويتقنه، أما المحاضرة في آداب الطعام أو النوم فقليل من يعقلها خاصة من الصغار.

٥ ـ الجلسة الأسرية:

وهذه مهمة جداً قلَّ مَن يطبقها، فالأب منشغل في دنياه ولهوه إن كان من أصحاب اللهو، أما الدعاة وطلبة العلم فقليل مَن يطبِّقها لانشغالهم في الدعوة والتعليم، وهذا خير، ولكن لأهلك عليك حق. فلابد من تخصيص جلسة يومية إن أمكن ذلك وإن تعذَّر فما أقل أن تكون جلستين أو ثلاث جلسات أسبوعية تأخذ طابع البساطة وعدم التكلف، فليست جلسة درس أو محاضرة، وإنما جلسة ودٍّ ومحادثة ولها أثرها التربوي إذا أحسن المربي التعامل معها وأفسح المجال للأبناء في الكلام والتعبير عما في النفس وعما شاهدوا في يومهم من أحداث ووقائع، فبذا يستطيع المربي اللبيب أن يفهم نفسيات أبنائه ومواهبهم وأفكارهم ويصحح الخطأ ويعزز السلوك الحسن، وللأب فيها مداخلاته وقصصه الهادفة وكلماته النيِّرة. وإن استغل بعض وقت الجلسة لا كله في

قراءة كتاب سهل ممتع مفيد أو سماع شريط محبب للنفوس مما يفيد، فهذا نور على نور، وإلا فالجلسة في حد ذاتها مفيدة؛ لأنها جلسة تربوية غير مباشرة في أسلوب جلسة مرح ومسامرة.

٦ ـ الثواب والعقاب:

الثواب لمَن أحسن والتشجيع والثناء الحسن والجائزة القيِّمة ونحو ذلك مما يعزِّز السلوك الحسن.

والعقاب في أصوله الشرعية لمَن ساء خُلُقه أو فعله، يقول ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**» [رواه أبوداود بإسناد حسن]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه لهم أدب**» [صحيح الجامع الصغير]، وإن للضرب آدابه وضوابطه (وقد كتبت في ذلك في كتاب الرحمة بالأطفال من المنظور الشرعي) وليس العقاب مقتصراً على الضرب بل الهجر والحرمان من الجائزة أو من الرحلة أو من اللعب ونحو ذلك، يعتبر في حق الصغار عقاباً.

٧ ـ المتابعة والملاحظة:

المتابعة للابن في سلوكه وأصدقائه ومدرسته ونحو ذلك بطريق مباشر أحياناً ليعلم الابن أن والده مهتم به ومتابع له، وغير مباشر في بعض الأحيان حتى لا يفقد الثقة ويرى أنه مراقَب في كل

تصرفاته، وهذه تحتاج إلى فطنة من الأب والأم وحكمة.

٨ ـ شغل وقت الفراغ:

شغل وقت فراغ الأبناء بما يفيدهم ويشغلهم عما يضرهم، وقد ذكر ذلك في المرحلتين الثانية والثالثة ويضاف إلى ما سبق إيجاد مكتبة تحتوي على كتب مفيدة للأبناء وتراعي مستوياتهم، وكذلك أشرطة مما يفيد ويشجع الأبناء على الاستفادة من هذه المكتبة، وتحبب إليهم القراءة فهي خير ما يقضون فيها أوقاتهم وكذلك توفير بعض الألعاب المسلية والمفيدة والتي لا محظور فيها؛ لأن الأب الناصح لأبنائه قد منع عنهم وسائل الفساد فلابد أن يوجد البدائل المفيدة، وإن أمكن إيجاد ملعب في المنزل فهذا سيشغلهم عن الشارع وأضراره.

ومن المقترحات في هذا: لو اجتمع أهل الحي وتعاونوا على شراء استراحة توضع فيها الألعاب المسلية المباحة، ويتناوب الآباء أو الإخوان الكبار في مراقبة أطفالهم في تلك الاستراحة وتزاول بعض الأنشطة المفيدة، فهذا له أثره في تربية الأبناء وحفظهم عن الشوارع وقرناء السوء.

إن أمكنك أيها الأب أخذ أبنائك معك في كثير من أعمالك وزياراتك فهذا فيه فوائد لهم منها: إشغالهم عن الشارع، وتجد الفرصة في إسماعهم بعض الأشرطة في السيارة أو الحديث معهم فيما يقوِّم سلوكهم، أو يرون منظراً في الشارع فتعلق عليه بما

يصحح تصوراتهم بل من الممكن تسميع ما حفظوه من القرآن في المدرسة وحلقة التحفيظ وأنت في السيارة ونحو ذلك من الفوائد.

٩ ـ القدوة الصالحة:

أيها الأب: كن قدوة لأبنائك في دينك وخلقك وفي المسارعة إلى امتثال أمر ربك والبُعد عما نهاك الله عنه، سارع إلى الصلاة حين سماع الأذان وأمُر أبنائك بالمسارعة.

وأنت أيها الأم المباركة: كوني قدوة لبناتك في امتثال أمر ربك في الحجاب والحياء والبُعد عن الرجال والقرار في البيت تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فما أحوج الأبناء والبنات اليوم إلى القدوة الصالحة والأسوة الحسنة الذي يقول ويفعل فيكون لقوله وقع وتأثير، أما إذا طالبنا أبناءنا بأمور ولم نفعلها ونهيناهم عن أمور ووقعنا فيها فسيقل أثر تلك الأقوال التي لم تؤيدها الأفعال، وسيكون لسان حالهم «لو كان خيراً لسبقونا إليه».

١٠ ـ المناقشة والمحاورة:

إذا رأيت على ابنك خطأً في السلوك فلابد من وعظه، وقد يحتاج الأمر إلى مناقشة ومحاورة ومجادلة يقتنع بها، وهذا أسلوب يختلف عن الموعظة، فالموعظة تتكلم وينصت إليك، أما المناقشة

فلابد أن تطرح عليه أسئلة تطالبه بالإجابة عليها، ولكل مقام مقال، والأحوال تختلف وعلى سبيل المثال لو وقع في التدخين فتوجه له عدة أسئلة:

س١ : هل التدخين مفيد؟ سيقول لك: لا.

س٢ : ما هي مضاره؟ قد يذكر بعض المضار، وليكن عندك إلمام بهذا حتى تبين له المضار أكثر.

س٣ : لماذا تدخن؟

س٤ : هل التدخين محرم؟

س٥ : هل تحب أن تموت وأنت تدخن؟

س٦ : هل تحب أن يراك أحد من جماعتك وأنت تدخن؟

وغير ذلك من الأسئلة التي تجعله يجيب عنها من واقع فطرته بعيداً عن العناد والاستكبار.

ثم في النهاية تعظه وتدعو له بالتوفيق وأن الله يحفظه من ذلك، وقد تقدِّم له شريطاً أو كتيباً في هذا الموضوع ليسمعه بعد ذلك ويزيده قناعة، وإليك هذه المحاورة من رسول الله ﷺ مع شاب مغرم بالزنا جاء إلى النبي ﷺ ليأذن له بالزنا، وبعد محاورة منه ﷺ ذهب هذا الشاب وإن الزنا من أبغض شيء إليه.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «**إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل عليه القوم فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس،**

قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع النبي ﷺ يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهِّر قلبه وحصِّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» [رواه الإمام أحمد].

١١ ـ الرسـالة:

قد تكثر على الابن في الوعظ أو المحاوة والمناقشة فلا يجدي ذلك شيئاً، فالجأ إلى أسلوب آخر وهو الرسالة، فاكتب له رسالة ضمنها عبارات الحب والنصح والإشفاق والرحمة، ثم اكتب ما تريد وعظه به.

وقد يتطلب الأمر أن تستفيد من أحد طلبة العلم في صياغتها لك. واختمها بالدعاء ثم اجعلها في ظرف مغلق واذكر له أنه لم يطلع عليها أحد، ثم سلمها له وانصرف ليقرأها على مهل في الوقت الذي يفرغ فيه، فإنه سيقرأها من باب حب الاطلاع وسيتأملها بعيداً عن الحوار المباشر الذي قد يعاند فيه ويكابر، وهذا أسلوب مجرب ومفيد بإذن الله.

١٢ ـ الاستعانة بإمام المسجد أو بأحد طلبة العلم:

ليقوم بنصح الابن إذا لم تُجْدِ نصائح الأب دون أن يشعر الولد بذلك، وعلى هذا الأسلوب دَرَجَ السلف رحمهم الله في الطلب من أهل الخير والصلاح وعظ أبنائهم، ذكر أبونعيم في «الحلية»في ترجمة سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: «أن امرأة جاءت إلى سفيان فشكت عقوق ابنها وقالت: يا أبا عبدالله، أجيئك به تعظه؟ فقال: نعم جيئي به، فجاءت به فوعظه سفيان بما شاء الله، فانصرف الفتى فعادت المرأة بعدما شاء الله فقالت: جزاك الله خيراً يا أباعبدالله، وذكرت بعض ما تحب من أمر ابنها ثم جات بعد حين فقالت: يا أبا عبدالله ابني ما ينام الليل ويصوم النهار ولا يأكل ولا يشرب، فقال: ويحك مم ذاك؟ قالت: يطلب الحديث، فقال: احتسبيه عند الله» [الحلية (٧/ ٦٥، ٦٦)].

١٣ ـ التخويف بالله عز وجل:

فمَن خاف الله عز وجل وعظَّمه فعل الطاعات وترك السيئات، يقول ﷺ: «مَن خاف أدلج، ومَن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» [صحيح الجامع برقم ٦٢٢٢].

ووسائل التخويف بالله كثيرة منها:

(أ) ذكر الموت وزيارة القبور:

قال ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات، يعني الموت**» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن]، فينبغي للمربي كثرة ذكر الموت، ليعظ نفسه ويعظ أبناءه يذكر لهم من مات من أقاربهم وأن الموت نهاية كل حي ويأخذ أبناءه معه إلى المساجد التي يصلى فيها على الأموات ويذهب معهم إلى المقبرة، قال ﷺ: «**من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين**» [متفق عليه]، وفي رواية للبخاري: «**كل قيراط مثل أُحُد**». فهذا أجر عظيم تحصل عليه أنت وأبناؤك مع ما يحصل من الموعظة وترقيق القلوب، وتذكر الآخرة، قال ﷺ: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**» [صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٣٥٧٧].

(ب) زيارة المستشفيات ودور النقاهة:

وذلك ليتذكر نعمة الله عليه بالعافية فيشكر الله جل وعلا.

(ج) حثّه على كثرة النوافل والتقرُّب إلى الله وتعويده على الوتر وصلاة الضحى قبل أن يذهب إلى المدرسة، والنوم على طهارة وتعويده على صيام النوافل ولو بعض الأيام خاصة صيام الست من شوال ويوم عرفة ويوم عاشوراء، وإن صام ثلاثة أيام من كل شهر فهذا صيام الدهر. قال ﷺ: «**صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله**» [متفق عليه].

وتلاوة القرآن، وما أقل أن يختم كل شهر ويعوِّده الصدقة،

وحثه على الذِكْر والورد في الصباح والمساء، وأعمال الخير وطرق الخير كثيرة ولله الحمد.

(د) **كثرة ذكر الجنة والنار وما في الجنة من نعيم نسأل الله** من فضله، وما في النار من عذاب وجحيم نعوذ بالله من ذلك، ويوصى بقراءة كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(هـ) **حثّه على قراءة الكتب التي فيها قصص التوابين وذكر أحوال الموت والآخرة ونحو ذلك مما يرقق القلوب** ويوصى بقراءة كتاب (التذكرة في أحوال الموت وأمور الآخرة للقرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسماع الأشرطة التي يمتاز أصحابها برقة القلوب وحسن الوعظ.

١٤ ـ الاهتمام بالأبناء أثناء الإجازة:

كثير هم الآباء الذين يهتمون بأبنائهم أثناء الدراسة وتزداد الأهمية أثناء الاختبار، ولكن إذا جاءت الإجازة أهملوا ولسان حالهم نجح الولد والحمد لله، فليستمتع بإجازته، وعاش الابن فراغاً كبيراً لا يجد مَن يوجهه ولا من يستثمر وقته فيما ينفعه، فقضاه في الشوارع أو الاستراحات أو المقاهي ونحو ذلك وتلقفه قرناء السوء فعلموه ودربوه خلال هذه الإجازة على ما لم يكن يعرف من وسائل الشر والفساد، فلهذا أصبحت الإجازة موسماً من مواسم انحراف كثير من الشباب كما قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**» [البخاري]، ولذا لابد من الاهتمام

بالإجازة أكثر من أيام الدراسة لأن الابن أثناء الدراسة مشغول بها وأثناء الإجازة يشعر بالفراغ الكبير، فإذا لم يهتم به ويوجه هذا الفراغ إلى ما ينفعه فهو مغبون تعود عليه الإجازة بالخسارة، وإليك أيها الأب الكريم بعض الأمور التي يمكن أن توجه أبناءك إليها أثناء الإجازة:

١ - **حلق تحفيظ القرآن الكريم**، فهي خير ما تقضى فيها الأوقات وتفنى فيها الأعمار، وأعظم وسيلة بعد توفيق الله يتربى فيها الأبناء، وإذا لم يوجد حلقات فوجّه الابن لحفظ شيء من القرآن يومياً وشجّعه على ذلك وسمّع له يومياً وأعطه الجوائز على ذلك وما أنفقت مخلوف بإذن الله.

٢ - **المراكز الصيفية**، وهي تلك المراكز التي تفتح في بلادنا أثناء الإجازة وتشرف عليها وزارة المعارف ويقوم عليها أهل التربية من الرجال الصالحين الذين يحملون هَمَّ الدعوة وتربية الشباب نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً. فشكر الله لهم وجزاهم عنا وعن أبنائنا خير الجزاء.

٣ - **توفير مجموعة من الكتب والأشرطة المفيدة**، وتكليف الابن بالقراءة والسماع، وتسأله بعد ذلك، وتعطيه جوائز على ما فهم وما استفاد منه.

٤ - **توجيه مَن استطاع منهم العمل وتيسر له أن يعمل في شركة أو دائرة حكومية أو محل تجاري** يكتسب منه ويحفظ وقته عن

الفراغ القاتل للشباب، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة» [الحلية لأبي نعيم (١/ ١٣٠)].

٥ ـ **توجيه الابن لتعلم شيء من الصناعات المفيدة والحرف** المهمة، كتعليم الحاسب الآلي أو السباكة أو الكهرباء أو النجارة ونحو ذلك من المهن التي يستفيد منها وتقطع عليه وقت فراغه، وقد قيل: «صناعة في اليد أمان من الفقر».

٦ ـ **أخذ الأب ابنه معه** إذا كان عنده محل تجاري أو عمل يمكن للابن مساعدته فيه.

٧ ـ **السفر إلى مكة والمدينة** شرفهما الله أو إلى غيرهما من المصائف في بلادنا مع المحافظة على الآداب الإسلامية وأداء الواجبات الشرعية.

٨ ـ **بالنسبة للبنت، فإنها توجَّه إلى الدور النسائية لحفظ القرآن** الكريم إن أمكن ذلك، ويوفر لها مجموعة من الكتب والأشرطة التي تهتم بالمرأة وتبين ما يكاد لها من أعداء الإسلام والكتب التي تفقهها في دين الله وما يتعلق بأمور النساء، وقصص الصحابيات رضي الله عنهن وسيرة النبي ﷺ، وننبه إلى كتاب «صور من سير الصحابيات» تأليف عبدالرحمن السحيباني، وتوجه للأعمال المنزلية من طبخ وتعليم خياطة ونحو ذلك مما يفيدها وتقضي به وقتها.

هذه بعض الوسائل لقضاء الإجازة والاستفادة منها، وكل له ظروفه وإمكانياته، ولكن المهم في ذلك أن نعلم جميعاً خطر الإجازة وخطر الفراغ على الشباب والفتيات، فإذا عرفنا ذلك واهتممنا له وفكَّرنا كيف نقي أبناءنا هذا الخطر سهل الله لنا الكثير من الوسائل، وكما قيل: «الحاجة أم الاختراع».

والله جل وعلا ييسر الأمور ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝﴾ [الطلاق: ٤].

* * *

وصايا عامة للأبوين

١ ـ الاستعانة بالله عز وجل وسؤاله والتضرع إليه جل وعلا في إصلاح الأبناء أمر مهم لابد للمؤمن منه، فإن الإنسان مهما أوتي من قدرة على التربية لن يجدي ذلك شيئاً ما لم يوفقه الله جل وعلا، قال جل وعلا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

فعلى الأبوين أن يبذلا جهدهما ما استطاعا في تربية وإصلاح أبنائهما والاستعانة بالله عز وجل كما قال المصطفى ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قُل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» [مسلم].

٢ ـ الاستقرار الأُسري والتفاهم والتعاون بين الزوجين له أثر عظيم في التربية السليمة، وكثرة المشاكل بين الزوجين والشقاق بينهما له آثار سلبية على التربية، وخاصة إذا حصل الفراق والطلاق بين الزوجين فهذا ضياع للأسرة والأولاد ـ إلا من رحم الله ـ فأكثر ما تحصل المشاكل السلوكية والانحراف الخلقي من شباب عاشوا

في أسرة متفككة أو أسرة تحصل فيها المشاكل الكثيرة وعدم التوافق بين الزوجين، فعلى الزوجين أن يوفرا البيئة الصالحة للتربية السليمة وأن يكونا متفاهمين متعاونين كل منهما يؤدي حق صاحبه ويعاشره بالمعروف كما قال جل وعلا: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وعلى الأم أن تحث أبناءها على بر الأب واحترامه وتقديره، وكذا الأب يحث أبناءه على احترام الأم وأداءِ حقها.

وعند حصول خلاف بين الزوجين مما لا يخلو منه بيت وكان لابد من المحاسبة والمعاتبة بينهما فليكن ذلك بعيداً عن نظر وسمع الأطفال وليظهر الأبوان أمام الأطفال بمظهر التفاهم والاحترام ولو كان بينهما شيء من العتاب حرصاً على نفسية الإطفال ونشأتهم النشأة السليمة في ظل الأسرة المستقرة، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

٣ ـ العدل بين الأولاد أمر شرعي أَمَرَ به النبي ﷺ ونهى عن الجور، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ، فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «**أكُل ولدك نحلته مثل هذا؟**» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**فارجعه**»، وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «**أفعلت هذا بولدك كلهم؟**» فقال: لا، قال: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**»، فرجع أبي في تلك الصدقة وفي رواية فقال رسول الله ﷺ: «**أبا بشير،**

ألك ولد سوى هذا؟» قال: نعم، قال: «أكلهم وهبت له مثل هذا؟» قال: لا، قال: «فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور»، وفي رواية: «لا تشهدني على جور»، وفي رواية: «أشهد على هذا غيري»، ثم قال: «أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟» قال: بلى، قال: «فلا إذاً» [متفق عليه].

فهذا الحديث دليل واضح على تحريم تفضيل بعض الأبناء على بعض، وذلك لما يورث من الحزازات والحسد والتباغض بين الأبناء بل والقطيعة وعدم بر الأب، فكثيراً ما نسمع من رجال عقُّوا أباءهم وأمهاتهم وإذا سُئل أحدهم عن ذلك قال: إن أبي أو أمي تفضل أخي عليَّ، فانظر أيها الأب وأيتها الأم كيف نشأت هذه العقدة النفسية وهي شعور هذا الطفل بتفضيل والديه لأخيه فشب وكبر وربما له أولاد بل وأحفاد ووالداه بلغا الكبر وهما بأمس الحاجة إلى بره وعطفه وهو لا يزال يتحدث في المجالس عن تفضيل أخيه عليه، ولنا في قصة يوسف وأخوته أعظم العبرة والدرس في وجوب العدل بين الأبناء في العطية بل في المحبة والقبلة والنظرة والمحادثة والاستماع لحديثه.

نعم لابد من العدل في هذا كله حتى لا يشعر الأطفال وهم في أشد الحساسية لذلك، ألا ترى كيف أن الطفل الذي لم يبلغ السنتين كيف يعتدي على أخيه الذي هو أصغر منه، لماذا؟ إنه يراقب حركات الأم وهي تضم أخاه وتلقمه ثديها وربما تبتسم له

إلى غير ذلك مما تفعله الأم وهي غافلة عن أحاسيس وشعور أخيه الأكبر.

وإن مما يحزن بعض الأطفال ويؤثِّر في نفسياتهم أن الأب يحادث أخاه الأكبر منه لكونه يعقل الحديث ويهمل الأصغر، والأصغر يراقب ذلك ويتألَّم له والأب لا يشعر، فينبغي للأب وللأم أن يعدلا حتى في المحادثة وفي النظرة والسؤال وغير ذلك، ولا يُتساهل به، فله آثاره النفسية على الطفل.

وينبغي التنبيه إلى أنه ليس من العدل المساواة في النفقة فكل له نفقة خاصة به فنفقة الطفل الذي يدرس في المرحلة الابتدائية تقل عن نفقة الطالب الذي يدرس في المرحلة الجامعية، فهذا يحتاج إلى مصروف يومي أكثر من أخيه طالب الابتدائي وهكذا، وهذا هو عين العدل إذ أن العدل لا يعني المساواة، وإنما هو إعطاء كل ذي حق حقه. أما المساواة المطلوبة فهي في المعاملة والعطية الخارجة عن النفقة كما في قصة النعمان بن بشير رضي الله عنهما فتحرَّ العدل تظفر بهذه البشارة العظيمة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولُوّا»** [مسلم].

٤ ـ الكسب الحلال له أثر في تربية الأبناء، وفي الحديث:

«أيما لحم نبت من سحت فالنار أولىٰ به» [رواه الطبراني].

وفي الحديث قوله ﷺ: «**يا سعد، أطب مطعمك تستجب دعوتك**» [رواه الطبراني].

ويقول ﷺ: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**» [متفق عليه]، قال ابن حجر رحمه الله: «فيه التنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثراً فيه» [فتح الباري].

سُئل الإمام أحمد رحمه الله: «بم تلين القلوب؟ قال: بأكل الحلال» [مناقب الإمام أحمد ص٢٥٥ لابن الجوزي رحمه الله].

فهذه النصوص وغيرها كثير جداً تبين أن لأكل الحلال أثراً في صلاح الخلق والاستقامة واستجابة الدعاء وضد ذلك أكل الحرام والعياذ بالله، فاجتهد أيها الأب الكريم واتق الله في نفسك وأولادك أن تطعموا الحرام.

٥ ـ ينبغي للوالدين أن يتصفا بالأخلاق الكريمة وخاصة الصبر والرحمة واللين والحلم والرفق، فالتربية طريق طويل وميدان واسع والتعامل مع الأطفال يحتاج إلى هذه الأخلاق لينجح المربي في تربيته، ولما كان الأنبياء مربين لأممهم أمرهم الله عز وجل بهذه الأخلاق، فلقد أمر الله عز وجل نبيه بالصبر في كثير من الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولما لرعي الغنم من أثر في ترقيق الطباع ولينها وتعويدها على الرحمة والرفق ألهم الله أنبياءه رعي الغنم، قال ﷺ: **«ما بعث الله نبياً إلا رعىٰ الغنم»** فقال أصحابه: وأنت؟ قال: **«نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»** [البخاري]. ولذا كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالأطفال، قال أنس رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ» [مسلم]، ويقول ﷺ: **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»** [صحيح الجامع الصغير]، ويقول ﷺ: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»** [مسلم]، ويقول ﷺ: **«من يحرم الرفق يحرم الخير»**، ويقول ﷺ: **«تزوجو الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»** [رواه أبوداود والنسائي].

فينبغي على الأب أن يكون صبوراً رفيقاً شفيقاً رحيماً.

٦ ـ **لا تغضب**، وصية النبي ﷺ لرجل قال له: أوصني، قال: **«لا تغضب»**، فردد مراراً قال: **«لا تغضب»** [رواه البخاري ومسلم]، وذلك أن الغضب مفتاح كل شر كما قال جعفر بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغضب مفتاح كل شر» [جامع العلوم والحكم (١/٣٦٣)]، فابتعد رحمك الله عن الغضب ولا تغضب إلا في الأمور المهمة التي تستحق الغضب خاصة إذا انتهكت حرمات الله عز وجل، فقد

كان ﷺ كما وصفته عائشة رضي الله عنها قالت: «... وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تُنْتَهَك حرمة الله فينتقم ﷺ بها لله» [البخاري]. فهذا غضب محمود، أما الغضب المذموم فهو الغضب الذي يغلق عليه عقله ويتصرف تصرفات يندم عليها بعد ذلك. وكذلك سرعة الغضب في الأمور التافهة التي لا تستحق أن يغضب لها فهذا الغضب يضر بصاحبه فيسبب له الأمراض النفسية والأمراض العضوية كالسكر والضغط وأمراض القلب وغيرها ويقلل هيبة الأب أو الأم عند الأبناء فإذا تعودوا سرعة غضب الأم أو الأب لم يبالوا بعد ذلك أغضب أم لا، لأنه أصبح أمراً معتاداً لديهم، وقد قيل: «اتق غضبة الحليم»، ومفهوم هذا أن سريع الغضب لا يؤبه له.

٧ ـ أيها المربي لا تظن أنك بطول التربية وأخذ جميع الوسائل الممكنة في التربية أن المتربي قد فهم ذلك وطبقه، وأنه لن يخطئ أبداً. كلا ليس الأمر كذلك، فإن النفس البشرية تتغير وتتأثر والقلب يتقلب، أقول لك ذلك حتى لا تجزع وتصدم إذا وجدت ابنك بعد طويل التربية على أمر لا تحمده، فأنا لا أدعوك للتساهل في هذا، ولكن أدعوك لضبط الأعصاب وعدم الإحباط، فهي طبيعة النفس البشرية فما عليك إلا أن تعود للتربية وتصلح الأمر بطرقه الشرعية وبالحكمة، ومثالك في ذلك وقدوتك المصطفى ﷺ الذي ربَّىٰ أصحابه أحسن وأفضل تربية ومع ذلك يفاجأ ﷺ بحاطب بن

أبي بلتعة رضي الله عنه وهو من المهاجرين ومن شهد بدراً يرسل كتاباً إلى أهل مكة يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، وهذا أمر عظيم دعى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقول: «إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه»، ويقول له المصطفى الرحيم الحكيم ﷺ: «لعل الله قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو قد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال: الله ورسوله أعلم، والقصة بطولها في الصحيحين، وللمربي مع مَن يربيهم في هذه القصة عدة وقفات ودروس وعظات، منها:

(أ) أن المربي لا ينصدم ويحبط عندما يخطئ من رباه ولو طالت مدة التربية، فحاطب رضي الله عنه تربى عند المصطفى ﷺ وهو مَن شهد بدراً والخطأ حصل عام فتح مكة وبينهما قرابة سبع سنين.

(ب) أن المربي لابد أن يسأل عن سبب الخطأ، فالنبي ﷺ يقول لحاطب رضي الله عنه: «يا حاطب ما حملك على هذا؟».

(ج) إذا علمت سبب الخطأ وأنه مما يُعذر فيه فينبغي قبول عذره في ذلك وإنهاء الخصومة في ذلك، فالنبي ﷺ لما علم عذر حاطب رضي الله عنه قال: «صدق، لا تقولوا إلا خيراً».

(د) إذا كان المخطئ من أهل الصلاح والخير وله سابقة في ذلك فإن هذا يشفع له، فيقبل عذره، فالنبي ﷺ يقول لعمر رضي

الله عنه: «لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

ويقول الشاعر:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

فعليك أيها الأب إذا أخطأ الابن أن تبحث عن أسباب الخطأ وأن توازن بين حسناته وسيئاته وتصلح الخطأ بالحكمة وترغب المخطئ في التوبة والرجوع إلى الله عز وجل حتى لا ييأس ويقنط فيكون هذا سبباً في تكرار الذنب وإصراره عليه، وعد إلى نفسك وحاسبها فقد يكون عندك خلل في التربية سبب هذا الخطأ للابن.

٨ ـ **عدم التهاون في بعض الأمور التي تقود إلى ما هو أعظم**، وذلك أن بعض الآباء قد يتهاون في بعض الأمور ويرى أنها أمور سهلة لا تستحق كبير اهتمام مع انها تؤدي إلى مفاسد عظيمة وعلى سبيل المثال يتساهل بعض الآباء لأبنائه أو بناته بالنظر إلى الصور الجميلة في الصور أو الشاشة أو غيرها. وهذا يقود ولا شك بالشاب والفتاة إلى ما لا تحمد عقباه من الفسق والفتنة وقد يقود إلى الفاحشة، والنبي ﷺ يقول: «**إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم، مَن تركه مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه**» [رواه الطبراني].

ويقول الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها   فتك السهام بلا قوس ولا وتر

ومثل ذلك المعاكسة في الهاتف، فكم سببت من شرور خاصة على الفتيات، فكم اقتنصت من فتاة عن طريق ذئاب البشر بتسجيل مكالمة وجعلها سلاحاً في يد هذا الذئب يهددها بها.

ومثلها ترك الفتيات يتسوقن ويخرجن مع السائق، وترك الشاب في المنزل مع الخادمة وغير ذلك من الأمور التي يتساهل فيها كثير من الأسر ثم يعضون بنان الندم ولات حين مندم. فعالج الصغائر قبل أن تصبح كبائر.

٩ ـ لا ترغم ابنك على أمر تريده أنت وهولا يريده، أو ليس له ميول إليه، إلا إذا كان واجباً من الواجبات أو أمراً له فيه مصلحة راجحة لا تتحقق بغيره عند ذلك بيِّن له فوائد هذا الأمر وحثّه على فعله ولو بالإجبار، أما الأمور التي يسعه تركها أو له عنها بديل فلا ترغمه على ذلك خاصة في أمور الدراسة والزواج ونحو ذلك، فبعض الآباء يرغم ابنه على تخصص علمي وهو لا يميل إليه فيرضي أباه بذلك وربما فشل في هذا التخصص أو تلك الدراسة فلو أن والده ترك له الخيار وأخذ الدراسة التي يجد لها ميولاً وهواية ونجح في ذلك لكان ذلك خيراً من الفشل ومثله الزواج، فلا ترغم ابنك أو ابنتك على زوج لا يريده أو لا تريده.

وكذلك النهي، فلا تنه أبناءك عن أمر لا تريده أنت وهم يريدونه ما لم يكن محرماً أو فيه مضرة لهم.

فإذا نهيتهم عن ذلك فبيِّن لهم مضاره وسبب نهيك لهم وأنك

تريد مصلحتهم حتى يتركوه وهم مقتنعون. أما إذا تركوه مجاملة فيوشك أن يفعلوه في الخفاء، وفي القرآن والسُّنَّة نجد أن كثيراً من الأوامر قد بينت فوائدها، وكذا في النواهي والمحرَّمات قد بينت أضرارها، اقرأ مثلاً في الأمر بالصلاة والزكاة والحج، وكذلك تحريم الخمر والزِّنا ونحو ذلك. والشريعة كلها حكم في الأوامر والنواهي.

١٠ ـ استخدام سياسة شعرة معاوية رضي الله عنه، ولا تستخدم سلطان الأبوة دائماً، وإنما كن ليِّناً وقت اللين وحازماً وقت الحزم، ولا تكن ليِّناً فتعصر ولا يابساً فتكسر، ففرض السلطة دائماً تنفر الأبناء ويوشك أن يتمردوا إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فإذا رأيت ابنك شد في مسألة فلِن أنت ولكن بطريق غير مباشر حتى لا يجد منك ضعفاً ـ وهذا فيما يسوغ التهاون فيه ـ، وذلك أنه إذا شد في أمر وغلبك عليه استسهل المخالفة والعصيان، فعصاك في كثير من أموره.

وإذا حصل بينك وبينه هجر فاقبل شفاعة مَن يشفع فيه لترضى عنه بل أوعز ذلك إلى أمه أو أحد أقربائه يشفع فيه حتى لا يطول الهجر بينك وبينه؛ لأن طول الهجر يسبب الجفوة بينك وبينه، وهذا له أثره في التربية.

١١ ـ إن الاستقامة ليست محصورة في المحافظة على الصلاة والتزام المظهر الإسلامي والسير مع الصالحين فقط، وهذا من الاستقامة ولا شك، ولكن الاستقامة أشمل من ذلك وأعمق، إنها

استقامة عقائدية سلوكية أخلاقية بحيث يلتزم المسلم بالإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً وأخلاقاً ظاهراً وباطناً. كما قال جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فلتكن التربية شاملة متكاملة.

١٢ ـ لتكن التربية وسطاً بين الدلال المفرط والقسوة، وخير الأمور الوسط، فإن الدلال المفرط يعوِّد الابن على الترف واللين وعدم تحمُّل المشاق والمسؤولية والانطواء، والقسوة تعوِّده على الجفاء والعناد وغلظ الطبع، وليكن قدوتك في ذلك المصطفى ﷺ، فمع حبه للحسن والحسين رضي الله عنهما ومداعبته لهما ورحمته ﷺ بهما عندما أخذ الحسن رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة وجعلها في فيه، قال له ﷺ: «**كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة**» [متق عليه]. فمع الدلال للابن ومداعبته واللين معه علِّمه الآداب والحزم، وعلِّمه كلمة لا أحياناً حتى يتعوَّد على هذه الكلمة فيتحملها في كبره؛ لأنه لن يبقى عندك مدللاً مدى الحياة فسيجد في حياته مَن يقول له لا وألف لا، فإذا لم يتعوَّد على هذه الكلمة أثَّر ذلك في نفسيته ولم يتحمل ذلك، فليُعَوَّد على أن مطالبه ورغباته لا تُنَفَّذ كلها بل يُعَوَّد الخشونة أحياناً.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويُجَنِّبه الكسل والبطالة والدَّعة والراحة، بل يأخذه بأضدادها ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل، فإن الكسل والبطالة عواقب سوء ومغبَّة ندم، وللجد

والتعب عواقب حميدة، إما في الدنيا وإما في العقبى وإما فيهما، فأروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس، فالسعادة في الدنيا في العقبى لا يوصل إليها إلى على جسر من التعب».

ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويُجَنِّبه فضول الطعام والكلام والمنام ومخالطة الأنام فإن الخسارة في هذه الفضلات وهي تفوِّت على العبد خير دنياه وآخرته» [تحفة المودود بأحكام المولود ص٢٤٠].

ويقول الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وينبغي أن يمنع من النوم نهاره، فإنه يورث الكسل، ولا يمنع منه ليلاً، ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلَّب أعضاؤه ولا يسمن بدنه، فلا يصبر عن التنعُّم بل يعوَّد الخشونة في المفرش والملبس والمطعم» [أقوال في تربية الأولاد، جمع محمد المسند ص١٨، ١٩].

فينبغي على الأبوين أن يكونا وسطاً بين القسوة والدلال المفرط.

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد　　كلا طرفي قصد الأمور ذميم

١٣ ـ التدرج في العقوبة وإعطاء كل خطأ ما يستحقه، فليس كل خطأ يعاقب عليه الابن، فالابن الذي أخطأ خطأً عفوياً من واقع طفولته أو كان الخطأ لأول مرة فلا يعنف بل يعفى عنه ويتغافل عنه، خاصة إذا ستره عن والديه، ويمكن أن يعالج الخطأ بطريق غير مباشر حتى يشعر الابن بالخطأ دون أن يفطن أنه المقصود،

وذلك أنه إذا عوقب على كل صغير وكبير كثر عليه العتاب، فهان عليه سماعه.

يقول الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهوّن عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط موقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح» [أقوال في تربية الأولاد، جمع محمد المسند ص١٨].

قال الحسن: «ما استقصى كريم قط». [زاد المسير ٨/٣٠٩].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مازال التغافل من شيم الكرم» [البحر المحيط (٨/٢٨٨)].

ويتدرج معه في العقاب بالتوبيخ والموعظة الحسنة، فإن أجدى وإلا هجره، فإن لم ينتفع بالهجر عاقبه بالضرب غير المبرح وبضوابطه الشرعية، قال تعالى في حق النساء: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النساء: ٣٤]، ويُقاس على هذا الأبناء وغيرهم في التأديب، ويقول ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**» [رواه أبوداود بإسناد حسن]. ففي هذا الحديث أمرنا ﷺ أن نأمر أبناءنا بالصلاة وهم أبناء سبع سنين إلى العشر، ثلاث سنوات كلها أمر وما يقتضيه الأمر من موعظة وترغيب في

الصلاة وترهيب من تركها وتحبيب للابن في الصلاة وتدريب على إقامتها، فإذا لم تُجْدِ هذه الوسائل لجأ الوالد إلى الضرب.

١٤ ـ **إهمال يوم قد يهدم تربية أعوام**، وذلك أن الهدم سهل، فقد يهدم مبنى في ساعات استغرق بناؤه عدة سنوات، وكذلك في التربية، فقد يبذل الأب مع ابنه سنوات من التربية ولكن إهمال يوم لهذا الابن بالتساهل معه في جلسة أو رحلة مع شباب غير صالحين يغرونه فيها بشيء من الفساد يقع في قلبه وتتعلق به نفسه قد يفسد تربية سنوات. أو إهمال من الأسرة للابن في المنزل لوحده مع خادمة بحجة أن الابن من الصالحين ونسيت الأسرة أن الشيطان ثالثهما، فبإغراء وتزيين من الشيطان يقع الابن في شراك المعصية التي قد يصعب الخلاص منها، أو التساهل في سفر الابن إلى بلاد ينتشر فيها الفساد بحجة الدراسة أو النزهة ونحو ذلك مما يظن الأب أنه يريد لابنه الخير وأن الابن صالح ولن يتأثر بذلك، ونسي قول النبي ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»، ثم قال ﷺ: «**اللهم مصرِّف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**» [مسلم]، وقد حصل بأسباب هذا الإهمال مصائب كثيرة ندم عليها الآباء.

فينبغي للأب والأم مواصلة التربية والعناية بالآبناء ولو رأوهم على مستوى من الصلاح والاستقامة، فهم لا يزالون شباباً وعندهم

من الغرائز والشهوات ما قد يسبب لهم الانحراف عند الإهمال هذا مع تسلط الشيطان على الصالحين لصرفهم عن طريق الاستقامة والنفس الأمَّارة بالسوء وكثرة الفتن في هذا العصر فلا تؤمن الفتنة على أحد، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**فإن كنتم لابد مقتدين فاقتدوا بالميت، فإنه الحي الذي لا يؤمن عليه الفتنة**» [الحلية لأبي نعيم ١/١٣٦].

فعلى المؤمن أن يكثر من الدعاء النبوي الذي كان يكثر منه ﷺ، قالت أم سلمة رضي الله عنها: «كان أكثر دعائه ﷺ: يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك» [الترمذي].

١٥ - سفر الوالد الطويل وغيبته الطويلة عن أبنائه سبب من أسباب الانحراف، وهذه تختلف باختلاف الأسر والبيئات، ولكن من المعلوم أن بُعد الأب عن أبنائه يفقدهم كثيراً من التربية خاصة إذا كانت الأم ضعيفة في التربية وهي ولا شك ضعيفة بطبعها وتربيتها ناقصة، إذا فُقدت تربية الأب بل وتربية الأب ناقصة إذا فُقدت تربية الأم، فالتربية الكاملة تحتاج إلى أب وأم.. فإذا أضيف إلى تلك التربية الناقصة الضعيفة ضعف الإهمال والجهل من قبل الأم فهذا من أسباب ضياع الأبناء إلا من رحم الله، وكذلك كثرة خروج الأم من المنزل له آثار سلبية على الأولاد، فعلى الأم أن تَقَرَّ في بيتها ولا تُكْثِر الخروج طاعة لله عز وجل الذي أمرها بالقرار في

البيت، قال جلَّ وعلا: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقرار المرأة في بيتها فيه استقرار لها ولأسرتها.

١٦ ـ **بشارة لصاحب البنات:** بعض الأسر قد تتضايق من كثرة البنات ويفضلون البنين عليهن، وهذا من موروثات الجاهلية الذي قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

والإسلام قد كرَّم المرأة ورفع من شأنها وحثَّ على الاهتمام بها ورعايتها وتربيتها، وبيَّن ﷺ ما في تربيتها من الأجر العظيم الذي يطير له قلب المؤمن فرحاً وغبطة، إنه مرافقة النبي ﷺ في الجنة، يقول ﷺ: «**مَن عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين**» وضم أصابعه [مسلم]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن عال ثلاث بنات فأدَّبهن وزوَّجهن وأحسن إليهن فله الجنة**»، وفي رواية: قال: «**ثلاث أخوات أو ثلاث بنات أو بنتان أو أختان**» [رواه أبوداود].

فأي بشارة لصاحب البنات أعظم من مرافقة المصطفى ﷺ في الجنة؟!

وهذه البشارة مقيدة بالإحسان إليهن والعدل بينهن وبين الذكور

من أبنائه؛ لأن بعض الآباء والأمهات قد يفضلون الابن الذكر في العطية أو المعاملة ونحو ذلك على البنت كما مرَّ في الحديث السابق «**وأحسن إليهن**»، وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «**مَن كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ـ قال: يعني الذكور ـ أدخله الله الجنة**» [رواه أبوداود].

١٧ ـ بعض الآباء قد يكون منحرفاً أيام شبابه ومنَّ الله عليه بالهداية والاستقامة وقد يذكر ذلك لأبنائه ويقص عليهم ما كان يفعل أيام الشباب، وهذا فيه محذوران:

الأول: أنه من باب المجاهرة، فالذي ستر الله عليه حتى تاب وأناب فعليه أن يستر على نفسه، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمَّتي معافىً إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه**» [متفق عليه].

والثاني: أن أبناءه تهون عليهم المعاصي التي كان يعملها والدهم في شبابه، فقد يعملونها ولسان حالهم أنهم يتوبون إذا كبروا وفي حال اطلاع أبيهم عليهم ونصيحته لهم أو معاقبته على ما اقترفوه من ذنب احتجوا عليه بما كان يفعل من قبلُ بل إن كثرة ذكر العاصين والعُصاة وكثرة المخالفات والمنكرات في المجتمع

يهوّن على الناس فعلها.

وعلى الأب كذلك أن لا ينبسط مع زملائه وأصدقائه في بعض الكلام الذي لا يحمد سماعه للابن في حال وجوده. أما ذكر الأب ما حصل له من تجارب في حياته وما كان يعمل من أعمال طيبة فإن ذكرها للأبناء من باب التأسي والاقتداء والاستفادة من تجارب الآباء، فهذا أمر محمود وليس من باب الرياء؛ لأن القصد أن يقتدي به أبناؤه. والله أعلم.

١٨ ـ لا تغفل عن سؤال الأبناء الأسئلة التي تحثهم على فعل الخير مثل: هل صليت الفجر في الجماعة، هل أوترت، هل أنت صائم هذا اليوم ـ الاثنين، والخميس ـ هل تصدقت، كم حفظت في الحلقة.. إلى غير ذلك من الأسئلة التي تنبه الابن وتذكره ما غفل عنه وتبين أن الأب حريص عليه وسيسأله. وإن أعطيت من كانت إجابته حسنة جائزة فهذا من باب التشجيع، وهكذا كان النبي ﷺ يسأل الصحابة رضي الله عنهم كما روى أبوهريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبوبكر** رضي الله عنه: **أنا، قال: فمَن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبوبكر** رضي اللهعنه: **أنا قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبوبكر** رضي الله عنه: **أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبوبكر** رضي الله عنه: **أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في**

امرئ إلا دخل الجنة» [مسلم].

ومثل ذلك الأسئلة التي تفتق الذهن وتشحذ التفكير وتضيف للابن شيئاً من الثقافة والمعرفة بطريق سهل ميسر يثبت في الذهن ويبقى، وهذا ما كان يفعله ﷺ كثيراً مع أصحابه، فكان يطرح السؤال ويتيح لهم المجال في التفكير فإن أجابوا وإلا أخبرهم ﷺ ولكن بعد التفكير يرسخ ذلك المعلوم ويبقى وأمثلة ذلك كثيرة جداً نذكر مثالاً واحداً فقط: روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها، فوقع في نفسي النخلة فكرهت أن أتكلم وثم أبوبكر وعمر فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ: هي النخلة، فلما خرجت مع أبي قلت: يا أبتاه، وقع في نفسي النخلة، قال: ما منعك أن تقولها؟ لو كنت قلتها كان أحب إليَّ من كذا وكذا، قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبابكر تكلمتما فكرهت» [رواه البخاري ومسلم]، وفي رواية لمسلم: **«فوقع الناس في شجر البوادي»** فهذا المثل سيرسخ في أذهان الصحابة رضي الله عنهم أكثر مما لو قال ﷺ: إن مثل النخلة مثلها مثل المسلم... لكنه ﷺ وهو المعلم الحكيم أتاح لهم المجال في التفكير حتى أجابهم ﷺ، فليكن لك فيه ﷺ أسوة في تربية أبنائك وإن كنت معلماً في تربية طلابك.

١٩ ـ عدم تخويف الأبناء بالظلام أو الأصوات المزعجة أو ببعض الحيوانات ونحو ذلك مما اعتاد بعض الآباء خاصة الأمهات ـ هداهن الله ـ تخويف الأطفال بذلك فبعض الأمهات تقلد أصوات بعض الحيوانات لتخويف ابنها بذلك والبعض يجعل الطفل في غرفة مظلمة أو تخوفه ببعض الأسماء المزعجة فتقول: جاءك كذا وكذا مما يخاف منه الطفل، فهذا له آثار سيئة جداً في نشأة الطفل حيث ينشأ جباناً يخوّفه كل شيء.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وينبغي أن يوقى الطفل كل أمر يفزعه من الأصوات الشديدة الشنيعة والمناظر الفظيعة والحركات المزعجة، فإن ذلك ربما أدّى إلى فساد قوته العاقلة لضعفها فلا ينتفع بها بعد كبره» [تحفة المودود بأحكام المولود ص٣٣٥].

٢٠ ـ عدم التضجر من كثرة أسئلة الابن، فإن هذا يدل على ذكائه ودقة ملاحظته، فنبغي على الأب أن يفتح صدره لأسئلة ابنه ولا يتبرم بذلك مهما كانت الأسئلة وليعطه الإجابة على قدر عقله وما يصل إليه فهمه، وقد يحوِّر في سؤال الابن ويقول له: لو سألت عن كذا فهو أفضل وهكذا، المهم أنه لا يفاجأ الابن بقول: اسكت، أو هذا السؤال فوق مستواك، وهذا سؤال تافه إلى غير ذلك من العبارات التي تصيب الابن بالإحباط وتجعله يحجم عن سؤال الأب، بل وعن سؤال المعلم وغيرهما؛ لأنه أصبح يخشى

أن يجابه بمثل هذه العبارات فينقطع الابن عن التفكير وتظل هذه الأسئلة تعتلج وتتلجلج في صدره دون أن يجد مَن يشفي عيَّه بالسؤال عنها.

وفي كتاب الله وسنة مصطفاه ما يفيدنا في كيفية تلقي أسئلة الأبناء والطلاب والإجابة عنها بما يفيد، نأخذ مثلين فقط:

الأول: قول الله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ . . . ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سبب نزول هذه الآية: «أن رجلين من الصحابة سألا رسول الله ﷺ، قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدأ دقيقاً ثم يزيد ويمتلئ حتى يستدير ويستوي ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان؟ فنزلت: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾ ، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما» [زاد المسير ١/ ١٩٥].

فانظر كيفية السؤال، ثم انظر إلى الإجابة، فلم يجبهم الله عن سبب ذلك بل أجابهم بما يفيدهم وهو: ﴿ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾ أي: هي مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وحجهم ومناسكهم وعدة نسائهم وحل ديونهم، وهذا هو الذي يفيد في دينهم ودنياهم.

المثال الثاني: ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه: «أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال ﷺ: «ما أعددت

لها؟» قال: حب الله ورسوله، قال: **«أنت مع مَن أحببت»**.

ففي هذا حكمة الرسول ﷺ حيث أجاب السائل بما يفيده وينفعه، وهو: **«ما أعددت لها»**، أما الساعة فعلمها مما اختصَّ الله به، قال الكرماني: «سلك مع السائل أسلوب الحكيم وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم» [فتح الباري (١٠/ ٦٨٧)].

٢١ ـ علاج الانحراف، بعض الأبناء خاصة في مرحلة المراهقة قد يحصل له شيء من الانحراف ويختلف الآباء في علاج ذلك، فمنهم مَن يطرد الابن من المنزل، ومنهم مَن يهجره الهجر الطويل فلا يكلمه ولا يأمره ولا ينهاه، ومنهم مَن يكثر من ضربه والقسوة عليه، ومنهم من يكثر العتاب والسب والشتم لهذا الابن كلما رآه ويتلفظ عليه بألفاظ سيئة، وكل هذا نابع من حسرة يجدها الأب والأم في القلب كلما رأيا ابنهما يسلك طريق الانحراف.

ولكن ما هكذا يا سعد تورد الإبل، فكل هذه الأساليب خاطئة لا تزيد الابن إلا انحرافاً، فالطرد يبعد الابن عن الأبوين وعن التوجيه ويتلقفه قرناء السوء، ويزداد سوءاً إلى سوئه، والهجر يسبب الجفوة بينه وبين أسرته ولا تتيح للوالدين مجال التوجيه لأنهما قد هجراه، ومن المعلوم شرعاً أن الهجر علاج إذا كان له أثر على المهجور أما إذا لم يؤثر على المهجور ولم يبالِ بهذا الهجر فلا يجوز ذلك، ولذا نجد النبي ﷺ قد هجر كعب بن مالك

وصاحبيه رضي الله عنهم لأنه أثر فيهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، أما غيرهم من المنافقين فقد كانوا يعملون كثيراً من المخالفات ولم يهجرهم ﷺ، وهذا هو عين الحكمة. إذن هجر الابن المنحرف الذي لا يبالي بهجر والديه ولا بغضبهما عليه لا ينفع معه الهجر بل يضره وهجر الابن، إنما ينفع في الصالح الذي يتأثر بذلك وتضيق عليه الأرض بما رحبت عندما يرى والديه أو أحدهما غاضباً عليه لخطأ ارتكبه، أما القسوة والضرب وكثرة العتاب والتأنيب، فهذا لا يزيده إلا عناداً واستكباراً بل إنه يعتاده من والديه ولا يكون له أي أثر عليه، إذن ما العلاج في هذا؟ العلاج - بعد توفيق الله جل وعلا وإعانته - هو التضرع إلى الله عز وجل والإلحاح عليه بالدعاء وعدم استبطاء الإجابة مهما طالت، ثم بعد ذلك المداراة لهذا الابن وملاطفته مع النصح والتوجيه كلما سنحت الفرصة لذلك وتشجيعه إذا أحسن في أمر وترغيبه في التوبة وأنها تجب ما قبلها، وذكر قصص التائبين وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأنه يستطيع أن يعيد مكانته الاجتماعية ومحبة أهله وأسرته له، وأنه لا يزال على خير وفطرة طيبة، والاستعانة بالله ثم بأهل الخير والصلاح من الدعاة ومن يعرفهم ويطمئن إليهم بنصحه وزيارته وأخذه معهم إلى غير ذلك من الأساليب التي يُرجى نفعها - بإذن الله - المهم في ذلك كله عدم اليأس من صلاحه، ثم قطع الحبل معه، فهذا من أسباب استمراره في الانحراف بل

زيادته.

ونذكِّر الأبوين الكريمين أن كثيراً من الشباب يعتريه في مرحلة المراهقة شيء من الانحراف إلا من رحم الله عز وجل، وأن القليل منهم هو الذي ينشأ سليماً من الانحراف منذ نعومة أظفاره، ولذا قال النبي ﷺ: **«يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»** [رواه الإمام أحمد]، فلا تيأس ولا تقنط واستمر في النصح والتربية وسؤال الله الهداية.

٢٢ ـ أيتها الأم لا تستهيني بدورك في التربية، فدورك عظيم في هذا، فليست تربية الأبناء قاصرة على الأب، فلك منها القدح المعلى والنصيب الأوفى، وما كتب في هذا الكتيب وخوطب به الأب أو الآباء دون ذكر اسم الأم فأنت داخلة في الخطاب بل في النصوص الشرعية، فمن القواعد الفقهية أن الخطاب عام إلا ما اختصَّ به الرجل أو اختصَّت به المرأة، بل لأهمية دور الأم في التربية والرعاية قد حظيت بخطاب من المصطفى ﷺ بقوله: **«والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»** [متفق عليه]، ولو تصفحنا التاريخ وقرأنا في سير عظماء الرجال لوجدنا منهم ثلة فقدوا أباءهم في الصغر وربَّاهم أمهاتهم ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أنس بن مالك رضي الله عنه، ربَّته أمه أم سليم رضي الله عنها وقدمته لرسول الله ﷺ ليخدمه وأرادت بابنها الخير حيث

شرف بخدمة رسول الله ﷺ وظفر بدعائه وحظىٰ بقسط وافر من تربيته ﷺ. وإمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله تولت تربيته أمه رحمها الله، فقد ورد عنه أنه قال: «قدم بي من خراسان وأنا حمل وولدت هاهنا ولم أر جدي ولا أبي» [مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٣٦]، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله كان لوالدته رحمها الله أثر ودور كبير في اتجاهه للعلم الشرعي.

وغيرهم كثير جداً من تولى تربيتهم أمهاتهم فكم قدمت المرأة المسلمة من العلماء والأبطال الأفذاذ، فهي محضن الأبطال ومدرسة الأجيال.

والأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
والأم أستاذ الأساتذة الأولى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

أما مشاركتها للرجل في التربية فهي النصف الأول وليست النصف الثاني؛ لأن التربية تبدأ منها، فالطفل في سنيه الأولى إلى العاشرة تقريباً، وهذه أخصب فترة من فترات التربية ـ يكون ألصق بأمه ودور الأم في تربيته أكبر من دور الأب، فليهنك هذا الدور العظيم ولتشرفي به وتعتزي به فمزيداً يا ابنة خواء من الأبطال والعلماء، فما أحوج الأمة إلى أمثال هؤلاء، وأنتِ ـ بإذن الله ـ لكِ الدور الرائد في بناء الأمة ورفعتها بتربية الأبطال وتنشئة العلماء وحقًّا هذا هو عمل المرأة وأنعم وأكرم به من عمل عز في الدنيا

وصيانة وكرامة وأجر عظيم في الآخرة.

وخير نساء العالمين هي التي ... تدير شؤون البيت أو فيه تعمل
إذا بقيت في البيت فهي أميرة ... يُوقِّرها مَن حولَها ويبجِّل
وإسهامها للشعب إن قدمت له ... رجالاً أعدوا للبناء وأهّلوا
رعتهم صغاراً فهي كانت أساسهم ... تُلقِّن كلاً ما يقول ويفعل

٢٣ ـ آخر هذه الصايا وهو أهمها وأعظمها وأساسها وهي تقوى الله عز وجل، فتقوى الله سبب لكل خير في الدنيا والآخرة، سبب لتفريج الهم وتنفيس الكرب وتيسير الأمور وسعة الرزق قال تعالى: ﴿... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤]، وتربية الأبناء خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن همٌّ عظيم، فبتقوى الله جل وعلا يفرج الله هذا الهم وييسره بل ويحفظ أبناءك بعد وفاتك في دينهم ودنياهم، قال جل وعلا: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩]، وهذه الآية لها عدة تأويلات كما ذكر ذلك المفسرون ومن تأويلاتها ما ذكره ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال آخرون معنى ذلك: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ يكفيهم الله أمر ذريتهم بعدهم» [جامع البيان ٣/ ٢٧٢].

ولعل الآية عامة في جميع المعاني التي ذكرها المفسرون فهي توصي بتقوى الله جل وعلا، وتقوى الله سبب لكل خير. ومما يدل لذلك قصة الغلامين اللذين ذكرهما الله في سورة الكهف، فقد حفظ الله كنزهما بسبب صلاح أبيهما، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه دليل أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته ورفع درجته إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت السنة به».

والآيات والأحاديث في الأمر بتقوى الله جل وعلا وبيان فضائل التقوى وثمارها وآثارها في الدنيا والآخرة كثيرة جداً، فاقرأها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتدبَّرها واعمل بمقتضاها تظفر بخيري الدنياو الآخرة.

❊ ❊ ❊

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، واسأله في ختام هذا البحث المتواضع أن يُصْلح النِيّات والذُرِيَّات، وأن يعفو عن الخطايا والسيئات، وأُوصي القارئ الكريم بالدعاء للعبد الفقير إلى ربّه جل وعلا، ولعلَّ دعوة صالحة من عبد صالح تَجِد باباً مفتوحاً ويُقال لصاحبها: ولك بمثلٍ، فينتفع بها الداعي والمدعو له، فلا تبخل على أخيك بالدعاء فأنت المستفيد.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

* * *

الفهـــرس

* * *